الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

– جامعة الأغواط–

كلية العلوم الانسانية والاسلامية والحضارة

قسم التاريخ

العلاقات الخارجية لدولة المملوكية زمن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري

(658–676هـ/1260–1278م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي

من إعداد الطالبة:

مليكة حمزة

إشراف الدكتور:

مُحَّد قاوي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	مؤسسة الانتماء	الصفة
عائشة خامد	جامعة الأغواط	رئيسا
مُحَّد قاوي	جامعة الاغواط	مشرفا ومقررا
خالد شارف	جامعة الأغواط	عضوا مناقشا

العام الجامعي 1443–1444هـ/2023–2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

– جامعة الأغواط–

كلية العلوم الانسانية والاسلامية والحضارة

قسم التاريخ

العلاقات الخارجية لدولة المملوكية زمن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري

(658–676هـ/1260–1278م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الاسلامي

من إعداد الطالبة: مليكة حمزة

إشراف الدكتور: مُحَمَّد قاوي

العام الجامعي

1443-1444هـ/2022-2023م

الإهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أهدي هذا العمل المتواضع الى من كانت دعواتهما سندا وكلامهما عبر أمي وأبي

-حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمرهما-

والى من كان سببا في اختياري لعلم التاريخ جدتي-رحمها الله-وجدي أطال الله في عمره

الى اخوتي-سهام محمود بشرى-

الى عائلتي وأخص بذكر أبو أمجد اسلام والى أصدقائي

الى كل من تلقيت العلم على يديه من التعليم الابتدائي الى الطور الجامعي

والى كل من ساندنا ولو بابتسامة

لنقف على ناصية الحلم

الشكر

بعد شكر المولى –عز وجل –الذي وفقنا لإتمام هذا البحث

أتوجه بجزيل الشكر الى كل من ساعدنا

بداية بالأستاذ المشرف محمد قاوي الذي استفدنا من نصائحه كثيرا

خاصة الأخطاء التي كان ينبهنا اليها في حصة المحاضرة،

فقد أفادتنا تلك التوجيهات في انجاز هذا العمل

وبجزيل الشكر الى الأستاذة حنان جعيرن فكثيرا ما دعمتني، والى أساتذة قسم التاريخ.

والشكر موصول الى زملائي الذين استفدت من مساعداتهم.

فجزاكم الله عنا خير الجزاء.

بسم الله الرحمان الرحيم

قائمة الرموز والمختصرات

ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	ج
د ب ن	دون بلد النشر
د ت ن	دون تاريخ النشر
د د ن	دون دار النشر
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلد
هـ	التاريخ الهجري
AD	Aftera citato
OP.CIT	Opera citato
P	page
VOL	المجلد

المقدمة

المقدمة:

مر على تاريخ الدولة الاسلامية في الفترة الوسطية، رجال ساهموا في صناعة أمجاد هذه الأمة والذود عنها فضحو بالنفس والنفيس لأجل إعلاء كلمة الله في الأرض، فكان من بين هذه الشخصيات الملك الظاهر بيبرس البندقداري، الذي يعود بانتمائه الى دولة المماليك والتي بسط نفوذه عليها من سنة(658-676هـ/1260-1278م)،حيث تميزت دولة المماليك في فترة حكمه بالقوة السياسية والعسكرية التي أبانت عنها العلاقات الخارجية لدولته الصاعدة والتي ارتكزت على ثلاث محاور أساسية –سياسية ،اقتصادية، عسكرية –فهذه المعاير جعلت من دولته أكثر مرونة وفاعلية لتصدي للأخطار الخارجية والحفاظ على الدولة الاسلامية.

أهمية الموضوع من الناحية العلمية:

-كون الموضوع محدد بفترة زمنية واضحة تتمثل في فترة حكم بيبرس البندقداري ومؤطرة للحديث عن العلاقات الخارجية فقط، فهذا يجعل منه متخصص يساهم في اعطاء فكرة تميل الى الشمول حول العلاقات الخارجية في ظل الفترة المعنية.

- يبين هذا الموضوع أحد القادة المسلمين الذين كان لهم دور في الدفاع عن بلاد المشرق الاسلامي وهو دور لا يقل بمكانته عن صلاح الدين الأيوبي ولا عن القادة الذين سعوا للحفاظ على لواء الدولة الاسلامية.

-كما يلقى الضوء على مجموعة من الاستراتيجيات التي تبناها هذا القائد والتي عكست الحنكة السياسة والفطنة والذكاء الذي كان يمتلكه.

- المساهمة في اثراء رصيد المكتبة الجامعية.

دوافع اختيار الموضوع:

حقيقة أن اختيارنا للموضوع كان قائم على مجموعة من الاشكالات وكلها صبت في اطار

العلاقات الخارجية لدولة المملوكية فتم ضبط العنوان من قبل اللجنة العلمية بما تناسب مع ميولنا البحثية، وتكمن الرغبة في دراسة هذه الفترة تحديد لكونها مرحلة متممة، وممهدة في نفس الوقت لما بعدها من أحداث وغزيرة من حيث الوقائع التاريخية ، وعلى الرغم من كثرت الدراسات إلا أنه قد شابها نوع من الغموض في بعض جوانبها، فكانت اشكالاتنا سببا مباشر لاختيار هذا العنوان.

الإطار الزماني والمكاني:

الإطار المكاني: بما أن البحث مؤطر ومتعلق بدولة المماليك فقد شملت هذه الدراسة كل من الأراضي الخاضعة لسلطة المماليك وهي بلاد الشام ومصر.

الإطار الزماني: يشمل هذا البحث الحيز الزمني الذي تولى فيه السلطان الظاهر بيبرس الحكم(**658-676هـ/1260-1278م**).

الاشكالية :

شهدت دولة المماليك زمن السلطان الظاهر على الصعيد الخارجي تباينا في العلاقات الخارجية فجمعته مع بعض الكيانات علاقات سياسية وأخرى كانت علاقات اقتصادية وأخرى حربية فكان السؤال المحوري والرئيسي فيما تتمثل العلاقات الخارجية لدولة المملوكية زمن السلطان الظاهر بيبرس(658-676هـ/1260-1278م)؟ والذي تمخضت عنه مجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها

- على أي أساس قامت هذه العلاقات؟ والى أي مدى ساهمت هذه العلاقات في الحفاظ على الدولة الاسلامية؟
- وهل استراتيجيات بيبرس وحدها هي من كفلت بقاء المشرق الاسلامي أنذاك أم هناك عوامل مساعدة ساهمت بشكل وبأخر في الحفاظ على الدولة الاسلامية؟
- هل يمكن اعتبار فترة حكم بيبرس مرحلة متممة، وممهدة لما بعدها من أحداث، وذلك من خلال نتائج هذا البحث؟

المنهج المعتمد:

نظرا لما تقتضيه طبيعة هذه الدراسات التاريخية فإن المنهج الرئيسي والأساسي الذي قام عليه هذا البحث هو المنهج الوصفي التاريخي وكذلك ارتأينا الى اتباع المنهج المقارن في حالة تضارب الآراء بين المؤرخين، مع عدم اغفالنا للمنهج التحليلي عند الاقتضاء والحاجة الى ذلك .

الخطة المعتمدة:

تم بناء الخطة على أساس موضوعي بحيث لم يراعى فيه التتابع الزمني وهذا لطبيعة الموضوع التي فرضت هذا التقسيم، فارتأينا على ضوء المادة العلمية التي اطلعت عليها والمتوفرة لدي إلى تقسيم هذا البحث الى ثلاث فصول، بدءا بمقدمة مهدنا فيها للموضوع، وذكرنا في إطارها أهم المصادر التي اعتمدنا عليها وختمناها بخاتمة حوت أهم النقاط التي توصل اليها هذا البحث ومن ثم مجموعة الملاحق والخرائط التي توضح وتبين جزء من النقاط التي تطرقنا اليها، فقائمة المصادر والمراجع.

فتحدثنا في **الفصل الأول** عن البدايات الأولى من سيرة بيبرس البندقداري مع الإشارة الى قيام دولة المماليك، فكان أول ما بدأنا به ذكر مولده وأصله وصفاته ووفاته، ومن ثم تم التطرق الى دوره في ظل الدولة الأيوبية والمملوكية والتي لاحظنا معها بداية لمعان هذه الشخصية وسرعة تدرجه في المناصب، وفي الأخير أوردنا مسألة قتل قطز وما كان من اختلاف بين المؤرخين القدماء حول هذه المسألة، ووصوله الى كرسي الحكم واعادة إحيائه للخلافة العباسية التي ضمنت له الحكم ولمن بعده من المماليك، ويعتبر هذا الفصل مهم لكونه يبين جزء من شخصية بيبرس والتي يمكن من خلالها تفسير بعض مواقفه وعلاقاته.

ونشير هنا الى أننا تعمدنا افراد الفصل الأول من هذا البحث للحديث عن بيبرس البندقداري وعن حياته الأولى بدل التكلم عن قيام دولة المماليك لما رأيناه من تضارب بين المؤرخين حول أصل بيبرس فأردنا الاشارة إلى تلك الآراء التي لم تشير اليها غالبا الدراسات السابقة بشكل مطول.

وكان الفصل الثاني كان بعنوان السفارات الدبلوماسية والاقتصادية للمماليك(658-676هـ/1260-1278م) فهو يتناول العلاقات السياسية التي قامت مع الدول المعاصرة له، والتي كانت مع كل من مغول القبيلة الذهبية ومع بعض الدول المجاورة (تونس-الحبشة-اليمن) وأوردنا فيه العلاقات الاقتصادية التي جمعته مع كل من المدن الايطالية ومع الامارات المسيحية في اسبانيا وغيرها وتعمدنا ايراده في هذا الفصل لأن تلك العلاقات تميزت بطابعها السياسي غالبا.

أما الفصل الثالث والذي هو بعنوان الحملات العسكرية وعوامل نجاح السلطان الظاهر فهو فصل محوري تحدثنا فيه الى ما ضمن بقاء الدولة الاسلامية وعوامل نجاحة ولو بطريقة غير مباشرة في بعض الأحيان وذكرنا المعاهدات الحاصلة بين تلك الأطراف.

وتم التطرق فيه الى الحملات التي قادها بيبرس ضد كل من الصليبين والمغول وحلفائهم وعن ضمه لبلاد النوبة وسيطرته على قلاع الحشاشين، ولكون موضوع المغول والصليبين تم تناوله من قبل أقلام المؤرخين ركزنا في هذا الموضع على ما تم اغفاله ففي الجانب المتعلق بالصليبين أجازنا فتوحاته ضمن جدول وتكلمنا عن أسباب وعوامل النصر وتحدثنا فيه عن نتائج تلك الحملات وانعكاسها على الصعيد الداخلي دون الدخول في التفاصيل وذلك لأن الدخول فيها مما هو خارج عن إطار الموضوع المعني بالبحث، وسلطنا الضوء في نهاية هذا الفصل على أحد الأنظمة الادارية-نظام البريد- الذي التمسنا دوره على الصعيد الخارجي فلم تقتصر أهميت هذا النظام على الصعيد الداخلي فقط بل كان له دور على الصعيد الخارجي فاكتفينا بالإشارة اليه.

الدراسات السابقة للموضوع:

بشأن الدراسات السابقة التي تطرقت الى هذا الموضوع فإني لم أجد فيما اطلعت عليه أن العنوان مدروس بشكل متخصص، إلا أنه بصفة عامة ذكر ضمن الدراسات التي تناولت وتكلمت عن هذه

الشخصية، وكلها دراسات ساعدتنا في التأسيس المعرفي لهذا الموضوع، فقد حاولنا على اثرها التركيز على بعض الجزئيات التي تم اغفالها، حيث كان من بين هذه الدراسات التي اطلعت عليها:

- -رسالة ماجيستر لمحمد جمال الدين سرور والتي "بعنوان الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره" تم طبعها من قبل الهيئة المصرية سنة (1357هـ/1938م)-، تناول فيها سيرة وانجازات بيبرس على الصعيد الداخلي والخارجي تميزت بالموضوعية الى حد ما، وتعتبر أول دراسة لهذه الشخصية، استفدنا منها في نقاط عديدة كونها أبانت عن الشخصية بشكل عام وخاصة في المقارنة بينه وبن المصادر.
- -مذكرة ماجيستر لميخائيل نجم خوري (1381هـ/1961م)بعنوان" سيرة الملك الظاهر بيبرس"، تكلمت هذه الدراسة عن سيرته مع تركيزها على الجانب العسكري الى حد ما.
- -ومن الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع رسالة ماجيستر حمدان شعبان العريد (1441هـ/2020م) والتي هي بعنوان "أسباب النصر والتمكين لدولة المملوكية في عهد الظاهر بيرس"، فذكر فيها الباحث أنه عني بدراسة التربية الدينية والحقيقة التاريخية وفق منهج علمي وبدا مضمون هذه الدراسة واضحا من خلال خطته المتبعة والتي ركز فيها على أسباب النصر والتمكين بذكر الاسباب الايمانية والادارية. والحضارية والعسكرية.
- -ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الاختلاف وقع بين هذا البحث وغيره من الدراسات السابقة في الاعتماد على أسلوب المقارنة بين المؤرخين، والتحليل في بعض الأحيان، ضف الى ذلك محاولة اعطاء صورة ولو بشكل عام عن أوضاع تلك الكيانات لفهم تلك العلاقات المتشابكة، فدراستها من جانب واحد تعطي صورة غير متكاملة المعالم.

أهم المصادر والمراجع:

استقينا المعلومات لهذا البحث من مجموعة من المصادر منها: **كتب السير، وكتب التاريخ العام، وكتب التراجم والطبقات وكتب الجغرافيا** ومن أهمها والتي كانت المنبع لهذا البحث:

-"**الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**" لمحي الدين ابن عبد الظاهر(ت292هـ/1292م).من كتب السير تناول حياة بيبرس غير انه لم يعرج عن أصله وبدأ سيرته من دوره في ظل حكم بني أيوب، عايش زمن بيبرس، وعمل في ديوان الانشاء حيث أنه كان مسؤولا عن المراسلات، ولعمله في هذا النظام الاداري أمدنا بمعلومات قيمة خاصة المتعلقة بالسفارات والرسائل التي كتبت بخط يده، فسيرته تزخر بما اقتبسه المؤلف من تلك الوثائق فأمدنا بمعلومات خيرة في جميع الفصول.

-"**حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية**" لشافع ابن علي بن عباس(ت730هـ/133م)، وهو في حقيقة الامر مختصر لكتاب محي الدين ابن عبد الظاهر، دون هذا المختصر بطلب من محي الدين ابن عبد الظاهر غير أنه لم يشرع في كتابته إلا بعد وفاته كونه اختلف معه في بعض النقاط ولم يشأ أن يبين هذا إلا بعد وفاته فكان هذا الكتاب مكملا للأحداث التي شابها بعض الغموض والتضليل في كتاب محي الدين ابن عبد الظاهر.

-"**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**"، لركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار(825هـ/1422م) اعتمد في تأريخه على السنوات يبدأ كتابة بتأريخ من سنة (650هـ/1253م)الى غاية (790هـ/1388م)، تدرج في مناصب السلطة والادارة حتى وصل الى مركز نائب السلطة في عهد قلاوون، استفدنا منه كثيرا في تبينه لدوافع قتل قطز والتي تفرد بها دون غيره من المصادر، واستخدمناه في مواضع أخرى من هذا البحث كونه اعتمد على التحليل والتفسير.

-"**السلوك لمعرفة دول الملوك**" لتقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي(845هـ/1442م) من أبرز كتب التاريخ المصري الوسيط يبدأ تأريخه من سنة (577هـ-

1182م)الى السنة التي سبقت وفاته يحتوى على معلومات مهمة وغزيرة عن الدولة الأيوبية والمملوكية اعتمد في كتابه على المنهج الحولي، وقد اعتمدنا عليه تقريبا في جميع الفصول.

-"**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**" لجمال الدين ابي المحاسن يوسف بن ثغري بن بردى الأتابكي(874هـ/1470م) ذكر في مقدمة كتابه أن ما دفعه الى كتابته هو ما خصت به مصر أنذاك بخدمتها للحرمين الشريفين فأحب أن يجعل تاريخها لملوكها ،ضم كتابه 16جزء ابتدأه من فتح مصر الى غاية سلطة السلطان الملك الأشرف قيتباي المحمودي الظاهري وعندا هذا الحد انتهى، أفدنا منه في الفصل الأول كونه ذكر الروايات التي تكلمت عن تاريخ مولد بيبرس وسيرته الذاتية ،كما استعن.. بكتابيه "**المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**" وكتابه "**مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة**"

وكتاب "**وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**" لرمزي م م وتكمن أهمية هذا الكتاب في مساعدتنا لتحليل واحدة من السفارات التي كانت بين بيبرس وبركة خان فعلى ضوء هذا الكتاب تم تعليل الخطأ، بالإضافة الى وجود مصادر أخرى.

ومن الأهمية بمكان أن نشير الى نقطة مهمة وهي أن المؤرخين ابن خلكان (ت681هـ/1282م) عايش فترة بيبرس حتى انه ولاه قضاء الشام، غير أنه لم يتكلم عن بيبرس ولم يورد له في كتابه أي ترجمة سوى بعض الكلمات.

واعتمدنا على مجموعة من المراجع العربية والأجنبية والتي كان اعتمدنا عليها في جزئيات معينة نظرا لأهمية معلوماتها التي لم نجدها عند غيرهم منها كتاب مُحَّد سهيل طقوش "**تاريخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام(648-923هـ/1250-1517م)**" وكتاب هلال عادل "**العلاقات بين المغول وأروبا وأثرها على العالم الاسلامي**"، والذي أفدنا منه في الإشارة للمعاهدات التي جمعت بين المغول والصليبين.

"**كتاب المماليك–الفروسية في مصر عصر سلاطين المماليك 648–923هـ/1250–1517م**"– لسيد الباز العريني استخدمناه في تبين بيئة الاتراك ودورها في قوتهم العسكرية، وكتاب المؤرخ رانسيمان ستيفن "**الحملات الصليبية –مملكة عكا**" من المستشرقين المنصفين وهذه ميزة تجعله من المراجع المعول عنها من قبل الباحثين.

وكتاب "**Colonel E .j . king, the kntghts hospital era In The Holy Land**".تكلم عن سيرة بيبرس في احدى فصول كتابه وذكر فتوحاته.

الصعوبات:

كل باحث مبتدئ تواجهه مجموعة من الصعوبات وخاصة في نقطة ومرحلة البداية والنهاية، ومن بين الصعوبات التي واجهتني في اطار اعداد هذا البحث:

- تشابك بعض العلاقات بحيث أن الفصل بينها يخل بالوحدة الموضوعية للفكرة وبناء الخطة، فركزنا على ذكر الحدث التاريخي في الجانب الذي كان واقعه فيه أبلغ تفاديا لتكرار
- كثرت العلاقات الخارجة وتباينها وهو ما شكل صعوبة ملاحظة في تركيب الخطة فهناك من العلاقات مالم نخصص لها فصل مستقل غير أننا أشرنا إليها في مضمون البحث.

وجب في هذ الموضع أن ننوه الى نقطة مهمة وهي أن مضمون هذا البحث تكلم عن العلاقات الخارجية السياسية والعسكرية والاقتصادية دون العلاقات الفكرية وذلك لأننا لم نشهد لها حضور في ظل ما اطلعنا عليه في الفترة المحددة.

وفي الأخير لا نزعم أننا اتينا بما لم يستطعه الأوائل لكننا اجتهدنا ما وسعنا من الجهد محاولين الوصول الى ما رأيناه حق، وحسبنا أننا اجتهدنا وحاولنا تقديم الموضوع بشكل بسيط فلم نعتمد على التقصير المخل في المعلومات ولا تطويل الممل، وتبقى هذه المذكرة كأي عمل بشري يعتريه النقص والخلل، فما كان صوابا فهو بفضل الله وحده، ومكان من خلل فهو من نفسي، ونسأل الله العفو والسلامة.

الفصل الأول: البدايات الأولى من سيرة بيبرس البندقداري

- ❖ المبحث الأول: السيرة الذاتية لبيبرس البندقداري
- ❖ المبحث الثاني: دوره في ظل الدولة الأيوبية والمملوكية
- ❖ المبحث الثالث: وصول بيبرس الى السلطة واعادة احياء الخلافة العباسية.

تزخر كتب التاريخ الاسلامي العام، وكتب السير والتراجم على وجه الخصوص، بأسماء الكثير من الرجال الذين كان لهم دور في بناء الدولة الإسلامية والحفاظ عليها، ومن بين هاته الشخصيات التي تناولتها أقلام المؤرخين وسطرت إنجازاتها ودونت حولها المناقب والمأثر، سيرة الملك الظاهر بيبرس الذي كانت حياته الأولى خارج هذا الإطار إلا أن القدر ساقه إليها، فقد كانت حياته قبل السلطة مليئة بالأحداث، التي ساهمت في صناعة وابراز بيبرس البندقدار وإيصاله الى كرسي الحكم.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لبيبرس البندقداري:

1) أصله ومولده:

يعود نسب بيبرس الى المماليك، والمملوك في اللغة هو العبد[1]، أما من الناحية الاصطلاحية فقد اقتصرت لفظة مملوك في معظم الدول الاسلامية المتأخرة على فئة الرقيق الأبيض، وهم المولدون من أبوين حرين جلبهم التجار من مواطنهم الأصلية لبيعهم في أسواق النخاسة، فعمد الحكام الى شرائهم والاستكثار منهم لتكوين فرق عسكرية، فأصبح بذلك المملوك أداة حربية لا يمكن الاستغناء عنها[2] ،ويعلل ابن خلدون سبب استقدامهم فيقول" أنه لا لقصد الاستعباد انما إكتَاف للعصبية وتغليظ الشوكة ونزوع الى العصبية الحامية[3]".

فلم تحمل بذلك كلمة مملوك المعنى السلبي المعبر عنه في كلمة عبد، وتعود في الغالب أصول هؤلاء المماليك الى العرق التركي الذي أتوا بيه من بلاد أسيا الوسطى تحديداً من بلاد القفجاق،(الفترة الايوبية الأخيرة)،

---

[1]) ابن منظور(ت711هـ/1312م)، **لسان العرب**، تح عبد الله علي الكبير ومُحَمَّد أحمد حسب الله وأخر، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت ن، ص4267 وأنيس ابراهيم، منصر عبد الحليم وأخران، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م، ص886.

[2]) احمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1988م، ص11 ومُحَمَّد عبد الله سالم العمايرة، **المعجم العسكري المملوكي**، ط1، دار كنوز، عمان، 1432هـ/2011م، ص311.

[3]) ابن خلدون عبد الرحمن بن مُحَمَّد(ت808هـ/1406م)،**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اعتنى به أبو الصيب الكرمي، ط1، بيت الأفكار الدولية، د ب ن ، د ت ن، ص1449.

والتي عرفت نشاطا واسعا في هذه الحركة التجارية بعد انسياح الجيوش المغولية على هذه الأرض[1].

فيذكر أنه في سنة(639هـ-1241م) لما عزم المغول على غزو هذه البلاد، قامت احدى القبائل بمكاتبة أنص قان وهو ملك الأولاق، أن يعبروا بحر صوداق[2] ليجيرهم من هذه الجحافل فأجابهم الى ذلك وأنزلهم واديا بين جبلين، وهذا في سنة(640هـ/1242م)،فلما اطمئن بهم المقام غدر بهم وشن غارة عليهم وكان فيمن أسير بيبرس وبيسرى[3]، فبيع فيمن بيع وحمل الى سيواس [4].[5]

ومن خلال هذه الرواية يمكن القول أن بيبرس تركي الجنس، تعود أصوله الى بلاد القفجاق، وهو ما أجمع عليه أغلب المؤرخون القدماء.

---

[1]) السيد الباز العريني، المماليك (**الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك 648-923هـ/1250-1517م**)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م، ص54.

[2])صوداق: سرداق: على ذيل جبل على شط بحر القرم، قال ابن سعيد عن أهلها أنهم أخلاط من الأمم والأديان ،ينسب البحر اليها ومنها يمتّازون لأن التجار تقصدهم لبيع ما يجلبون ولشراء المماليك، القلقشندي أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى**، ط1،المطبعة الأميرية ،القاهرة، 1332هـ/1914م،ج4،ص460 وأيضا شيخ الربوة شمس الدين ابي مُحَمَّد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي(ت727هـ/1329م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط1، مطبعة قرين أحمد، بطربورغ، 1281هـ/1865م،ص264

[3])بيسري أحد مماليك الصالح نجم الدين أيوب، تنقل في الخدم وصار من أجل الامراء في أيام الملك الظاهر بيبرس عرف عنه الكرم والشجاعة (نقلت عنه رواية أسر الملك الظاهر التي ذكرناها)،المقريزي تقي الدين أحمد بن حنبل (845هـ/1441م)،**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار**، تح مُحَمَّد زَينُهمْ ومَديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1419هـ/1998م، ج2،ص515.

[4]) سيواسْ: مدينة بأرض الروم أحدثها السلطان علاء الدين، حصينة كثيرة الأهل والخيرات أهلها مسلمون ونصارى من أصحاب التجارة، على مذهب الامام أبي حنيفة ،وأسباب الفسق والباطل ظاهرة عندهم وهي ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح (حكي أن بسيوس وقفا علق على علف الطير)،القزويني زكريا بن مُحَمَّد بن محمود، **أثار البلاد وأخبار العباد**، ط1، دار صادر، بيروت، د ت ن، ص ص(537-538) ولسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، تر بشير فرنسيس وكوركيس عواد،ط1، مطبعة الرابطة بغداد، 1373هـ/1954م، ص ص(179-180).

[5]) الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله(ت 764هـ/1362م)،**الوافي بالوفيات**، اعتنى به جاكلين سوبلة وعلي عمارة، ط2، فرانز شتايز شتوتغارت، د ب ن، 1411هـ/1991م،ج 10،ص329 وابن ثغري بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(874هـ/1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ط1،دار الكتب العلمية، القاهرة، 1357هـ/1938م،ج7، ص ص(95-96).

أما عن تاريخ ميلاده فهناك رأيان، فيذكر ابن العماد وابن ثغري بردى أنه ولد في(620هـ/1223م)تخمينا[1]، ويذكر الصفدي[2]أنه كان في(625هـ/1228م) استناداً لرواية بيسري، وإمعان النظر في كلا التاريخين المذكورين حول تاريخ ميلاده، يوقفنا على أن عمر بيبرس لما قدم الى بلاد الشام بناء على الرأي الأول كان عمر في حدود20سنة، وبناء على الرواية الثانية يكون عمره 15سنة، وهذا السن العمري يلغي فكرة ابن ثغري بردى ومن حذى حذوه بأنه أسير وجيء بيه صغير السن[3]، كما نستطيع أن نتبين ما يفسر جزئ من شخصية بيبرس فكلا التاريخين يبين أنه قضى جزءا من حياته الأولى في بيئة صعبة وقاسية ولطالما قال عنها الجغرافين والمؤرخين أنها بئة تصنع الرجال الأقوياء شديدي الميراس وهو ما جعل بعض الملوك تعول على استقدامهم وتضمهم لجيوشها.

ومن خلال تتبع المصادر نرى بأن حياة بيبرس الأولى كانت حولها هالة ضبابية فلم تبين طفولته ولا أصله بشكل دقيق ومثبت، فحتى مدون السيرة الظاهرية محي الدين ابن عبد الظاهر[4] الذي عايش بيبرس وكان من الأقربين إليه، لم يعمد لذكر ما تعلق بطفولته في حين أنه أشار اليها غيره من المؤرخين اللاحقين، فاكتفى بإيراد ما يعظم به سلطانه، وهي نقطة لامه عليها كاتب مختصر السيرة الظاهرية شافع ابن علي[5] لأنه رأى أن في السيرة نقصا من غير تبينها، كون السيرة سيجل يعكس حياة الملك الظاهر، وفيه يقول محقق كتاب السيرة الظاهرية أن بيبرس كان على إطلاع بما يكتبه محي فلعله بهذا لم يشأ أن يذكر ما ينقص من قيمة السلطان فتكتم عن حياته الأولى.

---

[1])ابن العماد أبي الفلاح عبد الحي الحلبي(ت1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،ط1، مكتبة القدس، مصر،1351هـ/1933م،ج5، ص350 وابن بردى، النجوم الزاهرة،ج7،ص94.

[2])الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج10،ص329.

[3])ابن ثغري بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(874هـ/1470م)، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تح نبيل مُحَمَّد عبد العزيز،ط1 الهيئة المصرية العامة، مصر،1405/1985م،ج3، ص447.

[4]) أنظر مقدمة كتاب ابن عبد الظاهر محي الدين (692هـ/1292م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح عبد العزيز الخويطر، ط1،د د ن، الرياض، 1396هـ/1976م.

[5]) أنظر مقدمة كتاب شافع ابن علي ابن عباس (730هـ/1330م) **حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية** ،تح عبد العزيز،ط2، د د ن، الرياض، 1410هـ/1989م.

2)صفاته:

ذكر في صفاته أنه طويل القامة ،أسمر اللون، أزرق العينين، جهوري الصوت وبإحدى عينيه نقطة بيضاء صغيرة، عليه مهابة فكان الأمراء يخافونه مخافة شديدة، حتى أنه اذا ضعف لا يقدر أحد على زيارته[1]

3)سيرته:

يقول عنه الذهبي كان عظيم الهيئة خليقاً للملك، له أيم بيض في الاسلام[2]، عالي الهمة مقدماً مُعتنيا بأمر السلطة متحليا بها، له قصد صالح في نصرة الاسلام، يميل الى التاريخ وأهليه ميلا زائد ويقول أن سماعه أعظم من التجارب، خفيف الركاب كثيرا الغزو سريع الحركة، وفيه ينشد سيف الدين المهدار:

يوم بمصر ويوم بالحجاز ويوم بالشام ويوما في قرى حلب[3].

4) أبنائه وزوجاته:

تزوج بيبرس من النساء خمسة، أولهن من طائفة الشهرزورية، ثم طلقها بالقاهرة، وابنة حسام الدين بركة خان التتري، وابنة الأمير سيف الدين نوكلي التتري وابنة سيف الدين كراي بن تماجي التتري، وابنة سيف الدين التتري، وله من الأبناء عشرة، من الذكور ثلاث: وهم الملك السعيد بركة خان، وبدر الدين سلامش، والملك المسعود نجم الدين خضر، ومن الاناث سبع[4].

---

[1])ابن الفرات ناصرالدين مُحَمَّد بن عبد الرحيم، **تاريخ ابن الفرات**، تح قسطنطين زريق، كلية العلوم والآداب، بيروت، 1361هـ/1942م،ج7،ص81 والعيني بدر الدين محمود(855هـ-1451م)،**عقد الجمان في أهل الزمان**، مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1431هـ/2001م ،ج2،ص 175.

[2]) الذهبي شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد(ت748هـ/ 1350م)،**سير أعلام النبلاء**، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، د ب ن، د ت ن، ص 1252.

[3])ابن بردى، النجوم الزاهرة،ج7،ص 182وابن الفرات، المصدر السابق،ج7،ص82؛ابن بردى، **المنهل الصافي**،ج3،ص465.

[4])المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العُبدي(845هـ/1347م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح مُحَمَّد عبد القادر عطى،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ/1997م، ج2، ص107.

5) وفاته:

توفي الملك الظاهر يوم الخميس السابع عشر من شهر محرم 676هـ/1278م، وذكر أن سبب وفاته هو شراب القمز(شراب مخمر من لبن الفرس) الذي أكثر منه بعد سماعه لخبر انسحاب الجيوش المغولية وعودتهم الى ديارهم ،فكان اكثاره من هذا الشراب سببا في إصابته بأزمة صحية دامت مدتها ثلاثة عشرة يوم وتمثلت أبرز أعراض هذه الأزمة في الحمى الشديدة التي أصابته والتي ازدادت وطأتها مع الأيام ومع تدخل الأطباء، لينهي بذلك هذا المرض حياة بيبرس وهو في دمشق، فعمل نائب السلطة على اثر ذلك على نقله الى قلعة الجبل مع التكتم عن هذا الخبر حتى يعلن عنه من مركز الحكم الرئيسي وتم دفنه بدار العقيقي التي اشتراها له ابنه الملك السعيد، والتي كانت مدفنا ومدرسة[1].

وفي مسألة وفاته يورد بيبرس المنصوري ما هو مخالف لما سبق فيذكر أنه لما انخسف القمر انخسافا كاملا وأظلم الجو تأول المتأولون بموت رجل جليل القدر، فيقول بأن السلطان قد تخوف على نفسه فرأى أن يصرف التأويل الى غيره، فاختار بهاء الدين[2] فأمر الساقي أن يسقيه كأسا من القمز كان ممزوج بالسم، إلا أن الساقي أخطأه فأصابه[3].

والملاحظ مما سبق اختلاف الروايتين في مسألة وفاة بيبرس وهو ما يفتح بابا لتساؤل، فإذا نظرنا لأعراض بيبرس التي ألمت به بعد شرابه للقمز نرى بأن منها ما يبين أعراض التسمم بشكل جلي، إلا أن ما أورده بيبرس المنصوري عن الراوي وقوله تأول المتأولون استوقفتنا فلم نرى بيبرس في سير حملاته ولا علاقاته يلجأ الى التأويل أو أصحاب التقويم ،على الرغم من أن اليونيني ينسب اليه هذا.[4]

---

[1]) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج2،ص107 وابن الفرات، المصدر السابق،ج7،ص85 ومحي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ص(474/473) و شافع ابن علي، المصدر السابق، ص335.

[2]) :من نسل الأيوبيون واسمه الكامل هو بهاء الدين عبد الملك ابن السلطان الملك المعظم عيسى بن الملك العادل سيف الدين ابن ابي بكر بن نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان.

[3]) بيبرس المنصوري الأمير ركن الدين الدودار، **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة**، تح دونالدوس.ريتشاردز،ط1، د د ن، بيروت، 1419هـ/1998م ،ص160.

[4]) ابن الفرات، المصدر السابق،ج7، ص86.

المبحث الثاني: دوره في ظل الدولة الأيوبية والمملوكية :

1)دوره في ظل الدولة الأيوبية:

يعتبر السلطان نجم الدين الصالح أيوب (67هـ-647هـ/1239-1249م)أول من بدأ في عملية الاستكثار من شراء المماليك-زمن الأيوبيون-، ليصنع منهم بطانة تحيط بدهليزه، بعد أن تبين له فساد الخوارزمية وفشلهم في القيام بمهامهم، ومن العوامل التي دعته للاستكثار منهم الخطر الخارجي والمتمثل في الصليبين وحملاتهم المتكررة على المشرق آنذاك، ضف الى ذلك الصراع المرير الذي ساد بين أوساط الأمراء الأيوبيين[1]، فمنذ وفاة صلاح الدين الأيوبي بدأت كثرة الشقاق والنزاع على السلطة وبدأت الدولة الأيوبية بعد سنوات العز والمجد والقوة السياسية والعسكرية تدخل في مرحلة الهُون والتصدع لتغدو هذه الأوضاع فرصة سانحة لمن تطلع للسيطرة على بلاد المشرق.

فكانت بذلك هذه الأوضاع من أبرز العوامل التي دعت السلطان نجم الدين أيوب على استقدام وشراء المماليك ، ليعمل على اثر ذلك بإلحاقهم بقلعة جزيرة الروضة [2]التي بناها لهم أين يتم استكمال تربية المملوك لتصطبغ شخصيته بصبغة الاسلامية القويمة من خلال تعليمه القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله والوقوف على معالم السيرة النبوية، لينتقل للمرحلة الثانية وهي تعلم أساليب الحرب وفنون

---

[1]) ابن أيبك الدواداري ابي بكر بن عبد الله، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، د د ن، القاهرة، 1391هـ/1972م، ج7، ص370.وفوزي رمضاني، **اسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)**، أطروحة دكتورا في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية بجامعة الجزائر2، الجزائر،(1437-1438هـ/2016-2017م)، ص ص(21-22). وبومدين هشام نمر، **الرياضة والألعاب التدريبة العسكرية في الدولة المملوكية (رياضات وألعاب الفروسية نموذجا)**،مجلة عصور جديدة، مج12، ع2، جوان1443هـ/2022م، ص ص(246-247) .

[2]):هي احدى ثلاث جزر على نهر النيل، استغرق بناء قلعة جزيرة الروضة بها ثلاث سنوات، وذلك من سنة (638هـ/1240م)، وهي تشغل مساحة 65 فدناً، بنها الملك الصالح نجم الدين أيوب وانتقل اليها مع مماليكه بعد اكتمالها، ابن الوكيل يوسف الملوني(ت1131هـ/1719م)، **تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب**، تح مُحَمَّد الششتاوي،ط1،دار الأفاق العربية، القاهرة، 1419هـ/1999م، ص59 والمغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد، **أطلس تاريخ العصر المملوكي**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1434هـ/2013م، ص16.

القتال[1]، ومما ميز هذا النظام أنه لم يعتبر المملوك أداة حرب فقط بل كان المملوك يتدرج في المناصب، وذلك حسب ما يبديه من خبرة وكفاءة، فكانت بذلك من احدى عوامل قوة المملوك أولا: البيئة التي جلب منها والتي يبرز انعكاسها الباحث والمؤرخ السيد الباز العريني فيقول: "بأن سكان هذا الاقليم تميزوا بالشدة والجرأة في القتال، وتأصل الفروسية فيهم وذلك نتيجة للبيئة القاسية والصعبة التي كانوا يعيشون بها فجعلت منهم محاربين بالفطرة"[2]، وليكتمل هذا العامل بعامل أخر وهو تعليم المملوك وتنشأته على الاسلام وتعاليمه فكان القصد من هذا هو إنشاء جيش قوي منظم قادر على التصدي للأخطار الخارجية،[3] وهو فعلا ما برز في معركتي المنصورة وفارسكور.

لقد كان بيبرس من ضمن الأسرى الذين حملوا الى الدولة الأيوبية وبيع في حماة[4]، شراه صاحب حماة الملك المنصور ولكنه عمدا لإرجاعه بسب النقطة البيضاء التي كانت في احدى عينه، فشراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري[5]، وبقي عنده حتى قبض عليه وتمت مصادرة أملاكة التي كان من بينها بيبرس فتم إلحاقه بجزيرة الروضة بمماليك الصالح أيوب، ونظرً لما أبداه بيبرس من شجاعة وبسالة وإقدام لفت نظر الملك الصالح، فلم يلبث أن أعتقه واختاره مقدما على طائفة الجمدارية[6]، فأصبح بذلك في حيز أوسع من ذي قبل[7].

---

[1]) بومدين هشام نمر، المرجع السابق، ص 248.

[2]) السيد الباز العريني، المماليك، ص246.

[3]) بومدين هشام نمر، المرجع السابق، ص249.

[4]) اختلفت الروايات في ذكر المكان الذي بيع فيه فذكرت القاهرة ومنها من ذكر أنه بيع بدمشق، ومنها حماة .

[5]) البندقدار: وهي كلمة فارسية الأصل تعني الشخص الذي يحمل جراوة البندق خلف السلطان، القلقشندي، المصدر السابق،ج5، ص458.

[6]) الجمدارية: وهو الذي يتصدى لإلباس السلطان، وأصل الكلمة مكونة من لفظتين فارسيتين أحدهما معنها الثوب والثاني معناه ممسك فيكون معنى الكلمة ممسك الثوب، نفسه،ص459.

[7]) سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المماليكي في مصر و الشام**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1406هـ/1986م،ص20

و ابن العماد، المصدر السابق،ج5،ص350.والصفدي، المصدر السابق،ج10، ص ص(329-330).ابن ثغري بردى، المصدر السابق،ج7، ص95 وابن الفرات، المصدر السابق، ج7، ص81.

فكان من بين أهم الأحداث التي شهدها في ظل الدولة الأيوبية بل وكان أحد الفاعلين فيها الحملة الصليبية السابعة التي قام بها لويس التاسع[1]، فقد استطاعت هذه الحملة أن ترسو بسفنها في دُمياط[2]، وتحكم السيطرة عليها لتتخذها قاعدة لتتوغل عن طريقها الى الديار المصرية لقربيها من بيت المقدس ومن الإمارات الصليبية الساحلية وبهذا يسهل وصول الإمدادات والمساعدات إليها، ومع سيرورة هذه الأحداث والوقائع توفي الملك الصالح أيوب فعمدت زوجته شجر الدر لإخفاء هذا الخبر وأرسلت وراء ابنه توران شاه الذي كان مرابطا في حصن كيفا[3] ليتولى السلطة مكان أبيه ومهمة الدفاع عن مصر[4]،وتجلى دور مماليك الصالح أيوب وعلى رأسهم بيبرس في أول صدام من بعده مع الصليبين في معركة المنصورة[5] التي استطاعت كسر مقدمة الجيش الصليبي الزاحف، عن طريق اتباع خطة محكمة يصف وقائعها رانسيمان فيقول بما مفاده أنه قد وضع رجاله في مواضع حساسة داخل المدينة وترك فرسان الفرنج يتدفقون داخل البوابة المفتوحة مندفعين الى أسوار القلعة وفي أخيرهم فرسان المعبد، ليخرج المماليك من الشوارع الجانبية، وانقضوا عليهم كصواعق، فلم تتمكن جياد الفرنج من

---

[1]) القديس لويس: من ملوك فرنسا سمي بالقديس لتدينه الشديد قيل عنه أنه صليب يحمل الصليب عرف بعدائه الشديد للمسلمين ،كانت وفاته في 1270م أنظر جوانفيل، **القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام**، تر حسن حبشي،ط1،دار المعارف، القاهرة، 1968م،ص ص(319/55/27).

[2])دُمياط: مدينة بين تنس ومصر ذات هواء طيب وهي من الثغور الاسلامية عندها يصب ماء النيل في البحر، وهي من المدن الرئيسية الثلاث–الاسكندرية .القاهرة–تتحكم في السفن المحملة والبضائع الآتية من الهند وبلاد الشام و أوربا قال عنها أولفر أنها قفل الديار المصرية ، واستهدفها يبين مقصد الحملة الغير المباشر، القزويني، المصدر السابق، ص193و عمران سعيد محمود، **الحملة الصليبية الخامسة** ،ط1،دار المعارف، القاهرة،1405هـ/1985م، ص ص(189/185).

[3]) حصن كيفا: يصفه المقدسي فيقول: قلعة حصينة وكنائس كثيرة، ويصفها المستوفي فيقول: بأنها مدينة عظيمة ولكن الخراب فيها ظاهر وان كانت أهلة بالسكان، أنظر لسترنج، المرجع السابق، ص145.

[4])اليافعي أبي مُحَّد عبد الله بن سليمان(ت 768هـ/1376م)،**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، تح خليل منصور، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م،ج4، ص ص(90–91).وأسمت غنم، **الدولة الأيوبية والصليبيون**، ط1، دار المعارف الجامعية، د ب ن، 1410 هـ/1990،ص

[5]) المنصورة: بناها الملك الكامل وهي بين القاهرة ودُمياط بنيت لما حاصرت الفرنج دمياط وقد اتخذت اسمها من الانتصار الذي حققه المسلمون على الفرنج، ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن مُحَّد بن عمر (ت732هـ/1334م)،**تقويم البلدان**، تح رينود ومارك كوين ديسلان، ط1، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1266هـ/1850م،ص106.

الاستدارة بسب الحيز الضيق، فأدى ذلك الى تبعثرهم، في فوضة عارمة وتمكن فرسان قليلون من الهروب لا لشيء إلا ليقوا بأنفسهم في النهر[1].

وفي السياق ذاته يصور أحد المسلمين أحداث هذه المعركة فيقول "والله كنتُ أسمع رَعَقات الترك كالرعد القاصف، ونظرت الى لمعان سيوفهم وبريقها كالبرق الخاطف، فلله درهم لقد أحيوا ذلك اليوم الاسلامي من جديد، بكل أسد من الترك قلبه أقوى من الحديد، فلم تكن الا ساعة واذا بالفرنج قد ولوا على أعقابهم منهزمين"[2]، وليكلل هذا النصر بنصر أخر في معركة فارسكور التي انتهت بأسر لويس التاسع[3]، وبهذا وعلى ضوء ما ذكرته المصادر فإن أول معركة شارك بها بيبرس هي معركة المنصورة فكان من أحد البارزين فيها، واستراتيجية المتبعة في معركة المنصورة تبين وتعبر عن مدى كفاءته العسكرية.

لتبدأ بذلك الدولة الأيوبية بعد هاتين المعركتين في مرحلة الانهيار الفعلي كون الوريث الوحيد لم يكن أهلاً للملك، فبعد أن استتب الحكم وأل اليه، بمساعدة من زوجة أبيه شجر الدر، عمل على مطالبتها بمال أبيه، وما كان تحت أيديها من الجواهر، ولم يكتفي بهذا بل زاد هوجه، بإنكاره على مماليك أبيه الكبار منهم وهم أهل الحل والعقد[4] [5]وقدم الأرذل ممن جاء معه من حصن كيفا.[6]

---

[1]) رانسيمان ستيفن، **الحملات الصليبية(مملكة عكة)**، تر نور الدين خليل، د د ن، د ب ن، د ت ن، ج3، ص 318.

[2]) ابن أيبك، المصدر السابق، ج7، ص377.

[3]) جوزيف نسيم يوسف، **العدوان الصليبي على بلاد الشام ومصر هزيمة لويس التاسع في الأرض المقدسة**، ط3،دار الكتب الجامعية، د ب ن، 1391هـ/1917م، ص ص(81-82).

[4])أهل الحل والعقد: جماعة من فضلاء الأمة يوكل اليها النظر في المصالح الدينية والدنيوية ،أولو مكانة وموضع الثقة من سوادها الأعظم ،فهم يمثلون العامة، وهم فقهاء بلغو درجة من الاجتهاد، بلال صفي الدين، **أهل الحل والعقد في نظام الحكم الاسلامي**،ط2، دار النوادر، دمشق، 1432هـ/2011، ص67.

[5]) فوزي رمضاني، المرجع السابق،ص22 وفايد حماد مُحَّد عاشور، **الجهاد الاسلامي ضد الصليبين في العصر الأيوبي**، ط1 ،دار الاعتصام، القاهرة، د ت ن،390.

[6])ابو الفدا(732هـ/1332م)، **المختصر في أخبار البشر**، تح مُحَّد زينهم مُحَّد عزب ويحي سيد حسين، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت ن، ج3، ص219.

فيورد ابن ثغري بردى عنه أنه كان اذا شرب جمع الشموع، وضرب على رؤوسها، وقال هكذا أفعل بالبحرية، ويسمي أسمائهم[1]، ولعل الدافع من وراء هذا الحقد ونقم توران شاه عليهم انما كان بسب أنه رأى فيهم قوة تقاسمه السلطة بل وتفوقه في النفوذ، وهذا النفوذ يعود للمعركتين السابقتين،[2] فليس بعجب أن يكون لنشوة النصر أثرها أن تبعث في نفوس المماليك العظمة، ليكون بذلك من نتائج هذه السياسة المعادية، أن أخذ كل طرف يترصد بالأخر لتكون نهاية توران شاه على يد المماليك وعلى ما ذكره أبو الفدا وابن أيبك فإن بيبرس كان على رأسهم وهو من أقدم على توجه أولى هذه الضربات[3] فمما جاء به أبو الفداء قوله "وأجمعت البحرية على قتله فكان أول من ضربه بيبرس، فهرب منهم الى برج الخشب، فأطلقوا في البرج النار فولا هاربا طالبا البحر ليركب في حراقته فحالو بينه وبينها بالنشاب فطرح نفسه في البحر فأدركوه و أتموا قتله" فأجمعت بذلك المصادر في مسألة وفاته أنه مات جريحاً حريقاً غريقاً على مرائي الجند[4]، ويزيد المقدسي عن هذا فيذكر ما فيه شيء من المبالغة فيقول "...فرجع فضربه البندقداري بالسيف فوقع في الماء ثم ضربه على عاتقه فنزل السيف من تحت ابط اليد الأخرى فوقع قطعتين"[5]،ومسألة قتله على مرأي الجند بيان على السلطة والنفوذ السياسي الذي وصل اليه المماليك فلم يقدم بذلك أحد على مساعدته، وتركوه ينال جزاء أفعاله، فمما ذكر عنه أنه لم يكن متحلي بأمور السلطة وبعيد عنها[6]، لينقضي بموته حكم بني أيوب.

---

[1])ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج6،ص 371.

[2]) عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص22 والتي بعدها..

[3]) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص ص(219-220). فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص22 وابن أيبك، المصدر السابق،ج7، ص383.

[4]) اليافعي، المصدر السابق، ص 92 وأبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، ج3، ص220 وابن بردى، النجوم الزاهرة،ج6،ص371.

[5]) ابي شامة المقدسي شهاب الدين ابي مُحَمَّد عبد الرحمان(665هـ/1267م)، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع(الذيل على الروضتين)**، تح مُحَمَّد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، دار الجيل، بيروت، 1394هـ/1974م، ص185 .

[6]): يذكره ابن أيبك فيقول عنه أنه كان صبيا سيئا العقل، عديم الرأي، أهوج، كثير العجب ، زائد السفه، على ضد خصال أبيه الحميدة، أنظر كنز الدرر وجامع الغرر،ج7،ص381.

2) بيبرس ودوره في ظل الدولة المملوكية:

اتفقت الآراء بعد مقتل توران شاه على تنصيب شجر الدر[1]في الحكم وعلى أن يكون مقدم العسكر الأمير عز الدين أيبك، فبعد أن صارت الأمور إليها دُعي لها على المنابر بمصر وضربت السكة باسمها، "الجبهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدين والدنيا أم خليل صاحبة الملك الصالح[2]".

إلا أن وصول امرأة الى الحكم لم يكن متعارف عليه عند المسلمين وذلك انطلاقا من مبدأ الدين الاسلامي "لا يُفْلحُ قَومٌ ولوا عَليهمْ امرأة" فلقي هذا القرار معارضةً من قبل الرأي العام، وذكر في هذا شيخ الإسلام العز ابن عبد السلام عما يبلى به المسلمون اذا ولو عليهم امرأة[3]، ولم تشمل المعارضة مصر فقط، بل حتى الخليفة العباسي الذي كان في محل ضعف نعى وعاب عليهم ما فعلوا فقال "ان كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسيرُ إليكم رجلاً"[4].وبعد هذه المعارضة التي تلقتها شجر الدر عزلت نفسها عن الحكم بتنازلها لعز الدين أيبك عن السلطة، بعد أن بقيت في الحكم مدة ثمانون يوم [5].

---

[1]) شجر الدر: هي أم خليل الصالحية اشترها الملك الصالح أيوب لم يرد ما يدل على أصلها فذكر أنها تركية وذكر أنها من أصول أرمنية، ربطتها علاقة جد قوية بالمماليك البحرية عرف عنها الفطنة والذكاء السياسي، ابن بردى، النجوم الزاهرة،ج6،ص374 و المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، ص459.

[2]) ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج6، ص374 و ابن الوكيل، المصدر السابق، ص60 وابن عبد الملك عبد الملك بن حسي(ت 1111هـ/1700م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَمَّد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1419هـ/1998، ج4،ص18.

[3]) وسيلة فراج، **المواقف السياسية لسلطان العلماء العز بن عبد السلام**(577-660هـ/1181-1262م)، مجلة قضايا تاريخية، ع 12، 1441هـ/2020م، ص39.

[4]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص464.

-يعلق الباحث فوزي رمضاني عن هذا فيقول: بأن جواب الخليفة العباسي يبين أنه لم يكن معترض على حكم المماليك إنما اعترض عن تولية امرأة الحكم والسلطة، أنظر فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص23.

[5]) ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج6، ص375.

ومن الأهمية بمكان أن نشير في هذا الموضع الى أنه قد وقع اختلاف بين المؤرخين حول فترة حكم السلطانة شجر الدر، والى أي فترة زمنية تنتمي وذلك على ثلاث أراء :

-فهناك من أرجعها على أنها تابعة لفترة حكم الأيوبيين، على اعتبار أنها زوجة الملك الصالح أيوب، مثل الاسحاقي فقد عدها أخر سلاطين بني أيوب[1].

-وهناك من عدها أول من ملك من الملوك الأتراك وعلى رأسهم المقريزي الذي قال عنها وهي أول من ملك من ملوك الأتراك[2].

-أما أصحاب الرأي الثالث فعدو فترة حكمها فترة انتقالية وفاصل بين حكم الأيوبيون والمماليك [3].

وبوصل عز الدين أيبك[4] الى الحكم سعى المماليك ومن بينهم (أقطاي-بيبرس-بلبان الرشيدي-وسنقر الرومي)،لمحاولة اضفاء الشرعية لحكمه بتعين الملك الأشرف ابن الملك الناصر وعمره عشر سنوات[5]، حيث يكون الاسم للملك الناصر والتوقيع والسلطة للمعز أيبك[6]، إلا أن هذا لم يكن ليخمد من نار الأيوبين ومن محاولة استرجاع مصر.

وفي خضم هذا الصراع حدث ما كان من شأنه أن يغير حال المماليك البحرية، وذلك أن أبدى أقطاي رغبته في السلطة، نظرا لارتفاع مكانته ومقامه بعد زواجه من ابنة صاحب حلب واخماده لثورة العرب الداخلية، فبدأ يطمح للسلطة كونه أعلى مكانة من أيبك وأحق منه بالملك، فتصدى أيبك

---

[1]) الاسحقاني مُحَمَّد بن عبد المعطي بن الفتح بن أحمد بن عبد الغني(ت 1060هـ/1650م)، **لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول**، رقم3369، خزانة جامعة الملك سعود، ورقة 175.

[2]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1،ص 459.

[3]) فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص23.

[4]) :هو عز الدين أيبك، عرف عنه السياسة والصيانة والعقل، كان من جملة مماليك الصالح أيوب تولي السلطة من (648-655هـ/ 1250-1257م)، ابن بردى، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،ج1، ص69.

[5]) ذكر المقريزي عنه أنه كان ذو ست سنوات فقط.

[6])ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج7،ص ص(5-6).

لهذا بقتله على مرأى المماليك البحرية ومن ضمنهم بيبرس، فلما رأى البحرية هذا فرو الى الشام ،أين أواهم يوسف الأيوبي صاحب حلب، إلا أن مكوثهم لم يدم طويلا، بعد أن عقد الصلح بينه وبين أيبك، لينتقلوا على اثر هذا الصلح الى خدمة الملك المغيث عمر صاحب الكرك، وحاولوا بمساعدة منه غزو مصر إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، واتجهوا الى الناصر يوسف، بعد الاتفاق الذي وقع بين الملك المغيث وصاحب حماة يوسف الأيوبي على تسليمهم له[1]، وهذا ما وقع مع بيبرس ومن كان معه من البحرية ببلاد الشام.

أما عن مصر فقد حاول أيبك التفرد بالسلطة والتحكم في زمام الأمور دون شجر الدر فسعت لتخلص منه، فكان لها ذلك، ويكون بهذا قد قضى مدة سبع سنوات في الحكم [2].

لتنتقل مقاليد الحكم بعد مقتل أيبك الى ابنه ذو الخمسة عشر سنة نور الدين علي[3]، إلا أنه لم يبقى في الحكم بسب مداهمة الخطر المغولي لديار المسلمين، فتولى قطز[4] مكانه في السلطة، وهذا ما تقرر من قبل أهل الحل والعقد[5]، ومع انسياح المغول في الأراضي الاسلامية، اقتضت الظروف وضع

[1]) لتفصيل والاستزادة أنظر: عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ص(26-29) مختار مُحَمَّد العبادي، المرجع السابق، ص ص(133-139).

[2]) خالد عمر رضا، **اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام**، ط1.، مؤسسة الرسالة، سوريا ، د ت ن، ج2، ص 290.، ابن الوكيل، المصدر السابق، ص60.

[3]) دامت مدة حكمه سنتين وثمانية أشهر (655-657هـ/1257-1259م).

[4]) قطز: (ويعني هذا الاسم الكلب الشرس) وهو ثالث سلاطين الدولة المملوكية ذكر عنه ابن بردى أنه كان حسن التدبر شجاعا مقدما وهو من قتل فارس الدين أقطاي وأن اسمه هو محمود ابن مودود تعود أصوله الى الخوارزميين وهو ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك تم أسره وبيعه ، وقد استدل ابن بردى في نسبه الى الخوارزميين بمجموعة من الروايات التي ذكرت بعد وفاته، ومما نشير اليه ما ذكره ابن اياس أن قطز لم يكن كغيره من المماليك شافعي المذهب وانما كان على المذهب الحنفي ، وهو أحد المذاهب المتبعة في العراق وبلاد ما وراء النهر والله أعلم ، للمزيد من التفصل حول هذا أنظر ،ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج7، ص ص(85-90).وابن اياس مُحَمَّد ابن احمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح مُحَمَّد مصطفى ،ط1، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د ت ن، ج1، ص 308.

[5])ماجد عبد المنعم، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر**،ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1408هـ/ 1988م، ص85.

الخلاف جانبا، ومحاولة التخطيط للتصدي لها، فأرسل بيبرس الى قطز يطلب منه الأمان فأمنه، وكان في استقباله حين دخوله مصر وهذا كان مع بداية سنة (658هـ/1260م)[1].

ومع اختراق المغول لبغداد وبسط نفوذهم عليها، لم يبقى من المشرق الاسلامي آنذاك سوى الديار المصرية والحجاز واليمن، فبعد بلوغ هولاكو لبلاد الشام أرسل من نفس السنة السابقة رسالة الى السلطان المملوكي قطز تحمل الإنذار والتهديد والوعيد، وأن يستسلم ليسلم فلا يلحق به ما لحق من سَبقه من ملوك المسلمين[2]، ليقف قطز أمام واحدة من ثلاث إما الصلح أو القتال، أو الجلاء ،فأما الجلاء فأمر متعذر، فلم يكن لهم إلا بلاد المغرب، وأرض المغرب بعيدة عنهم، وأضف الى ذلك أن المغول لديهم فكرة راسخة وهي أنهم شعب خلق ليحكم العالم، فوقوع مصر بأيدهم لم يكن ليوقفهم عند ذلك الحد، وأما الصلح فهم شعب لا يوثق بعهودهم، فلا مناص سوى الحرب، وهو ما كان باعثا للخوف لدى بعض الأمراء، فأبدو الاعتراض وقرار الرفض لهذا القرار لأنهم رأوا في المغول جيشا لا يقهر[3]، فإذا ما قورن جيش مصر وبلاد الشام بالدولة الخوارزمية نجد أنه كان كنقطة في الدائرة فكان الخوف من جيش المغول له دوافعه ومبرراته.

أما عن رأي قطز فكان رأيه مائل لفكرة الحرب فإما النصر، أو تبرئة الذمة أمام الخلق والخلائق إن وقعت الخسارة، وهي الفكرة التي أيدها بيبرس فلما اختلى بيه قطز وسأله عن رأيه قال " اني أرى أن تقتل الرسل، ونقصد كتبوبوقا–كتبغا– متضامنين فإن انتصرنا أو هزمنا، فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين "[4] ومنه نتبين أن استشارة قطز لبيبرس تدل على أنه رأى فيه قوة ورجاحة العقل، فقطز كان يحتاج لدعم لإقدامه على فكرة القتال فكان بيبرس من المشجعين و الموالين لهذه الفكرة وه واحدة من أبرز سماته الشجاعة والإقدام، وبقتل الرسل يكون فعلا قد أعلن قرار الحرب.

[1]) عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص 30.

[2]) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والايلخانين، ط1، دار النفائس، بيروت،1428هـ/2007م، ص160.

[3])الهمذاني رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (الايخانيون تاريخ هولاكو)، تر مُحَمَّد صادق نشأة وفؤاد عبد المعطي الصياد وأخر، ط1، دار احياء الكتب العربية، مصر، د ت ن، مج2،ج1،ص ص(312-313).

[4]) نفسه،ص313.

ومن أبرز العوامل التي أوردها المؤرخون بأنها شجعت قطز على قرار الحرب هي محاولة اقتناص الفرصة، فرحيل هولاكو بمعظم الجيش الى العاصمة قراقورم فرصة لا تعوض، كونها شكلت فارقا على مستوى الجيش المغولي، فقد بقي مع كتبغا[1] جيش قوامه عشرة ألاف[2]، ولم يكن ليستطيع أن يحتفظ بفتوحاته إلا بتحالفه مع الإفرنج وهو مالم يحصل[3]، لأن ما قام به المغول في صيدا من نهب، رسم صورة واضحة للإفرنج عن مدى همجيتهم، فاتخذوا بذلك موقف الحياد وهذا بناء على ما اقتضته مصالحهم، وقد درات أحداث هذه المعركة الفاصلة بمنطقة عين جالوت[4] في 25رمضان 658هـ/1260م، حيث اقتضت خطة قطز الاعتماد على أسلوب الهجوم لا على تقوية الحصون والدفاع، بحيث قسم الجيش الى فرقتين فكانت المقدمة بقيادة بيبرس، أما الفرقة الثانية وهي القوة الرئيسية فوزعت على الجبال والتلال تحت قيادة قطز، فاقتضت الخطة المرسومة محاولة استدراج بيبرس للمغول، عن طريق الانسحاب التدريجي بحيث يقع المغول بين فكي كماشة فتنقض عليهم القوى الموزعة في التلال[5]، فكانت بذلك هذه الاستراتيجية واحدة من أسباب النصر .

وحقيقة أن المميز في معركة عين جالوت ليس المعركة بحد ذاتها وان كانت على درجة من الأهمية وانما الأحداث السابقة لها والتي تتمثل في مجموعة العوامل التي أدت إليها، فمن هذه العوامل التي أدت لتحقيق النصر، شحذ همم المسلمين بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية والتي كان لها

---

[1]) كتبوبوقا: مقدم عساكر المغول أدرك جنكيز خان من الأشخاص الذين يثق ويعتمد عليهم هولاكو وذلك لخبراته بالحروب وافتتاح الحصون، شارك مع هولاكو في فتح معظم بلاد العراق والعجم، ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج7، 91.

[2]) ابن العبري غريغوريوس ابي الفرج هارون الطبيب الملطي(684هـ/1286م)،، **تاريخ مختصر الدول**، تح الأب انطون صالحاني اليسوعي، ط2، دائرة الرائد اللبناني، بيروت، 1415هـ/1994م، ص489 و فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**،ط1،دار النهضة العربية، بيروت، 1400هـ/1980م، ج1، ص 205.

[3]) نفسه، ص 206.وانظر أيضا مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام، ص162.

[4]) عين جالوت: وردت باسم عين الجالوت، وهي من فلسطين و تقع بين بيسان ونابلس، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي(626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، تح مُحَمَّد الأمين الخانجي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ/1906م، مج6، ص254.

[5]) الهمذاني ، المصدر السابق، ج1، ص ص(313-314).

واقع أليم في النفوس، فسماع القصص التي تناقلها الناس عن المغول وعن المجازر التي ارتكبوها كفيلة بإضعاف الهمم[1]، فلعل اقدام قطز على قتل الرسل كان من دافع وضع الجيش والعامة أما قرار الحرب، وأضف الى هذا خطابات قطز وحثه للمسلمين على الجهاد[2] كما كان لقتل بيدار فيما بعد ما ساهم في إثارة الحماس في النفوس[3]. ومن العوامل أيضا تأمينه للوضع الداخلي بزجي معارضة في السجون[4]، والتزامه بفتاوي الشيخ العز بن عبد السلام–جمع الضرائب–[5]، ولعل من أبرز النقاط التي نرى لها أهمية بالغة في نجاح هذه الحملة هي توحيد الصف والجبهة الاسلامية، وذلك بوضع الخلاف جانباً في ظل هذه الأزمة التي داهمت الأمة الاسلامية[6].

أما عن نتائجها فمن أبرزها اعادة الوحدة الاسلامية لبلاد الشام ومِصر بعد أن مزقها الصراع السياسي وأبدى الأيوبيون تقاعسهم في رد العدوان، ومن ناحية أخرى كسرت هذه المعركة شوكة المغول العاتية[7].

[1])سلطان طارق فتحي والمولى سالم يونس مُحَمَّد، **موقف المماليك من الغزو المغولي** ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج2، ع1، 1425هـ /2004 م، ص 160.

[2]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج1،ص 515.

[3]) فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ج1، ص308؛

[4]) سلطان طارق والماولي سالم، المرجع السابق، ص 158.

[5]) فراج وسيلة، المرجع السابق، ص 308.

[6]) نفسه، ص ص(302-301)، ومُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام، ص162.

[7]) فؤاد عبد المعطي الصياد ، المرجع السابق، ج1، ص ص(314-315).

المبحث الثالث: وصول بيبرس الى السلطة واكتساب التفويض الشرعي:

1) مقتل قطز وتفرد بيبرس بالحكم:

تعددت الروايات في مسألة كيف تم قتل قطز إلا أنها تكاد تجمع على سبب واحد كان هو الدافع لتبرير ما أقدم عليه بيبرس ومن معه، فيذكر كل من ابن الوردي[1] وأبو الفدا[2] وبيبرس المنصوري[3] في هذه المسألة أن مقتله كان بعد معركة عين جالوت وبعد أن دبر أمر الشام وولى عليها الأمراء، ففي طريق العودة نحو الديار المصرية تخلف عن مقدمة الجيش التي كانت قد سبقته الى الصالحية، فإذا بأرنب قامت بين يديه فساق عليها فما ان ابتعد، حتى تقدم اليه أنص الأصبهاني وجاءه ليشفع في حال البندقداري لأنه أقام في الخدمة مدة ولم يتعين له خراج فأجبه المظفر الى سؤاله، فأهوى الى يده ليقبلها، فما ان أحكم عليها حتى تقدم بيبرس وقتله ووثب عليه الباقين، وهذا ما تم ايراده في كتبهم حول مسألة قتل قطز وحذا حذوه كثير من المؤرخين، وذلك بذكرهم أن من وجه أولى الضربات هو بيبرس البندقداري.

وهي نفس الفكرة التي حاول محي الدين تأكيدها في السيرة فجاء في كتابه " وفعل السلطان ما فعل بنفسه، وبلغ غرضه بمفرده، وما بلغ احد أن يتكلم ولا جسر ان يمد يده إليه "[4].

في حين ذكرا شافع بن علي ما هو مخالف لهذا القول فيقول" ضربه أنص ضربة خائف، وعاد عليه الملك الظاهر فأتم قتله ودفن بمكانه "[5]. ففيه من المعنى اثبات على أن أولى الضربات لم تكن من قبل بيبرس وانما من قبل أنص الأصبهاني، الذي كان وجلا فلم تكن ضربته قاتلة فأجهز عليه بيبرس وأتم قتله.

---

[1]) ابن الوردي زين الدين عمر ابن المظفر(749هـ/1251م)، **تاريخ ابن الوردي**، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417هـ/1996م، ج2، ص203.

[2]) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3، ص 248.

[3]) بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص 54

[4]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص68.

[5]) شافع بن علي، المصدر السابق، ص66

ان تأكيد محي الدين على أن بيبرس هو من قتل قطز لوحده ونفيه لوجود شريك، ربما يعود للوقت الذي هو فيه، ولغرض أن يتفرد السلطان بسمعة ازاحة قطز، فالاعتراف بأن له شركاء يلحق به ضرراً ويولد له الأطماع[1].

أما عن الأسباب التي دعت الى قتل قطز فيذكر كل من الذهبي[2] وابن بردى[3] وأبو الفدا[4] أن ما جعل بيبرس يضمر الشر لقطز أنه كان قد وعده أن يوليه على إمارة حلب، غير أنه أخلف بما وعد وولى عليها علاء الدين، فأصرها بيبرس في نفسه وأخذ يتحين الفرصة المناسبة للانتقام، وهو ما يؤكده مُحَمَّد جمال الدين سرور فيقول: "أن قطز أخطأ حين رفض منح بيبرس ولاية حلب، فلو منحه إياها لتمكن من ابعاد خطر أكبر منافسه عن السلطة، فكان الخلف بما وعد مثيرً لمكامن الضغينة والحقد الذي كان في النفوس"[5].

إلا إن اقدام قطز على منح امارة حلب لبيبرس فيه من المخاطرة ما هو ظاهر للعيان، فحلب من الإمارات المهمة لبلاد الشام فكيف لقطز أن يمنحه هذه الامارة وهو يعلم مقدار ما يملكه بيبرس من القوة السياسية والعسكرية، أضف الى هذا الصراع المرير الذي كان قائم بين الطرفان قبل أن توحد معركة عين جالوت بينهما، فلعل قطز قد تفطن لهذا وخشي على سلطته من بيبرس، فأرد بذلك ابقائه تحت ناظره في مصر وبذلك تجنب منحه امارة حلب، وهو ما يثبته المؤرخ بيبرس الدودار في أن السبب الذي دعا الى قتل قطز " هو ما كان في نفوس البحرية من قطز ومن أستاذه من قتلهما

[1]) أنظر مقدمة كتاب شافع ابن علي ، وحي الدين ابن عبد الظاهر

[2]) الذهبي شمس الدين ابي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان(748هـ/1350م)، **تاريخ دول الاسلام**، ط2، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1364هـ/1945م، ج2، ص123.

[3]) ابن بردى، النجوم الزاهرة، ج7، ص82

[4]) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج3،ص248.

[5]) جمال الدين مُحَمَّد سرور، **الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره**، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1357هـ/1938م ، ص51.

-وفي تعليق مُحَمَّد جمال الدين سرور اشارة واضحة الى ما ذكره بيبرس الدودار

لفارس الدين أقطاي واستبدادها بالملك وإلجائهم الى الهروب الى الهجاج والتنقل في الفجاج ..، وانما انحازوا اليه لما تعذرا عليهم المقام بالشام ولتناصر على صيانة الإسلام، لا لأنهم أخلصوا له الولاء أو رضو له الاستلاء[1].

ليجلس بيبرس مباشرة بعد مقتل قطز على عرش السلطة وبمبايعة أقطاي المستعرب، ومن بعده بقية الأمراء على طبقاتهم، ومنها وبإشارة من أقطاي توجه الى قلعة الجبل[2]، أين تسلمها وبسط نفوذه عليها، ودان له الحكم[3]، ويرى حمزة هاني في هذا أن مبايعة أقطاي لبيبرس بعد اعترافه بالقتل لم تكن من باب تطبيق أعراف الأتراك فحسب، بل نتيجة خوف الأمراء الكبار على أنفسهم من القتل، فبيبرس لم يكن من كبار البحرية، ولم يكن سنه قد فاق الأربعين[4]، إلا أن هذا الأخير تمكن من السيطرة على مقالد الحكم، والجلوس على عرش السلطة في مدة قياسية تعد من ضمن اسرع الفترات الانتقالية في التاريخ.

ومع هذه الاحداث والوقائع كانت العاصمة قد تزينت لاستقبال قطز فإذا بالمنادي ينادي أن ترحموا على الملك المظفر وادعو لسلطانكم الملك القاهر بيبرس، والذي سرعان ما تغير من القاهر الى الظاهر[5]، ليكون اسمه الكامل الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح(وهي كنيته السلطانية) بيبرس (أي الفهد)ابن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي (نسبته الى من اشتراه)[6].

---

[1])بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص 53 .

[2]) قلعة الجبل: تخت المملكة وهي مركز السلطة ،وهي قلعة حصينة بها من القصور والمجالس ما يطول شرحه، ابن شاهين الظاهري غرس الدين ،**زبدة كشف الممالك**، تح بولس راويس، ط1، مطبعة الجمهورية، باريس، 1311هـ/1894م، ص26

[3]) المقريزي، السوك لمعرفة دول الملوك،ج1، ص ص(520-521).

[4])هاني حمزة، **مصر المملوكية قراءه جديدة(658-923هـ/1250-1517م)**، ط1، دار العين، الاسكندرية، 1433هـ/2012م، ص126.

[5]) ابن دقماق(ت 809هـ/1407م)، **الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين**، تح مُحَمَّد كمال الدين عز الدين علي،ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1985م،ج1، ص294. .

[6])هاني حمزة، المرجع السابق،ص126.

2)احياء الخلافة العباسية:

بعد أن تولى بيبرس السلطة عمل على اعادة احياء الخلافة العباسية في مصر وذلك لكسب التأييد والتفويض الشرعي، فعلى الرغم من أن الخليفة لم يكم معارض لحكمهم إلا أن الاعتراف بهم كسلطة وبتفويض منه لم يحدث-أشارنا الى هذا سابقا-، فسعى بيبرس لإعادة احيائها بعد أن بقى العالم الاسلامي مدة ثلاث سنوات من دون خليفة وبقي هذا المنصب شاغراً، فكان أول الخلفاء من بني العباس في الديار المصرية، أبو القاسم أحمد بن الظاهر ابي نصر مُحَمَّد ابن الناصر العباسي والعامة تطلق عليه اسم الزرابيني[1]، لقب باسم أخيه المستنصر بالله ابي جعفر المنصور[2]، وحمل الملك الظاهر اسم قسيم أمير المؤمنين وهو مالم يحصل عليه أحد من قبله[3]، فتم بذلك اعادة احياء الخلافة العباسية في مصر ومن المؤرخين من يشكك في نسبه وعلاقته ببني العباس، وعلى رأسهم أبو الفدا [4].

ومن الأهمية بمكان أن نشير الى أنه لم يكن للخليفة العباسي من الحكم سوى الاسم الذي يذكر في الخطبة والسكة، فكان اسمه واجهة دينية تضفي الشرعية على حكم بيبرس ومن أعقبه من المماليك، إلا أنها حتى وإن كانت سلطة رمزية فقد وحدت العالم الاسلامي أنذك، وهو ما عبر عنه

---

[1]) : لقب بهذا الاسم للون بشرته فقد كان أسود اللون –قيل أن امه كانت حبشية والله اعلم-، ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج3،ص253.

[2]) يقول المقريزي أنه سمي بهذا الاسم للاستنصار بالله على التتر، المقريزي تقي الدين أحمد(ت 845هـ/1441هـ)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تح محمود الجليلين، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1423هـ/2002م، مج2، ص 111.

[3]) نفسه، ص 207 والقلقشندي(ت 850هـ/1446م)، **مأثر الإناقة في معالم الخلافة**، تح عبد الستار أحمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، د س ن، ج2، ص111.وحسن ابي الحسين الديار البكري، الخميس في أنفس النفيس، ط1، د د ن، د ب ن، 1302هـ/1884م، ج2، ص 442. وفؤاد أيمن، **دولة سلاطين المماليك في مصر**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1440هـ/2019م، ص ص(47-48).

-كان احياء الخلافة العباسية بعد أن تم توحيد مصر وبلاد الشام بإخماد الحركات الداخلية التي سعت للانقلاب وإبعاد بيبرس عن السلطة والتي تمثلت في ثورة الكوراني-ثورة شيعية-وسنقر الحلبي والملك المغيث الذي استعان بالأكراد الفارين من وجه المغول للاستزادة أنظر عبد الفتاح عاشور والمقريزي الجزء الأول.

[4]) ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر،ج3، ص253.

ابن خلدون بقولة "فكان لطف الله سبحانه أن تدارك الايمان بإحياء رمقه، وتلاقى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه " [1].

كما أشاد السيوطي أيضا بدورها وببيان مكانتها العلمية فيقول "واعلم أن مصر حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعار الاسلام بها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء وهذا سر من أسرار الله"[2]

إن إعادة إحياء الخلافة في مصر جعل منها مركز ثقل العالم الاسلامي فأضحت قاعدة ذات سلطة سياسية ودينية وعلمية، وبإحيائها كسب بيبرس التفويض الشرعي لسلطته.

ينسب بيبرس الى المماليك ويعود بأصوله الى الأتراك المنحدرين من بلاد القفجاق، شهد في ظل الدولة الايوبية والمملوكية معركتين فاصلتين تمثلت الأولى في معركة المنصورة والثانية في معركة عين جالوت، حيث كان من أحد الفاعلين في كلا المعركتين، وقد تمكن هذا الأخير من الوصول الى السلطة والحكم بعد قتل قطز، أين بدأت معالم الدولة الصاعدة في البروز والتشكل.

[1]) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1449.

[2]) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1388هـ/1968م، ج2، ص94.

الفصل الثاني: العلاقات السياسية والاقتصادية لدولة المملوكية (658-676 هـ/1260-1278م)

- المبحث الأول: السفارات الدبلوماسية مع مغول القبيلة الذهبية
- المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية
- المبحث الثالث: العلاقات السياسية مع الدول المجاورة

لما تربع الملك الظاهر بيبرس على عرش الدولة المملوكية، عمل على تحصين الدولة الناشئة لإعطائها صفة الاستمرارية، فاقتضت بذلك سياسته الأولى في اطار العلاقات الخارجية إقامة المعاهدات الدبلوماسية مع الدول المعاصرة له وذلك وفقا لما يتماشى ويخدم مصالح دولته.

المبحث الأول: السفارات الدبلوماسية مع مغول القبيلة الذهبية:

1)ظروف قيام العلاقة بين الدولتين:

تعود بوادر هذه العلاقة التي جمعت بين الطرفين الى عاملين فأما الأول فهو الرسالة التي أرسلها الملك الظاهر الى بركة خان[1] بعد تواتر الأخبار عن إسلامه[2]، والى الوفود المغولية أصحاب بركة خان الذين قصدوا الديار الشامية مستأمنين من هولاكو سنة (660هـ-1262م)وذلك نتيجة لاستحكام العداء بين مغول القبيلة الذهبية[3]، ومغول بلاد فارس[4]،وتعود أسباب هذا الصدام بين هاتين القوتين الى مجموعة من العوامل يوجزها بارتولد فيذكر منها:

- مطالبة آل جوجي بمقاطعتي أران وأذربيجان.
- موت بعض الأفراد من بيت جوجي بإيران في ظروف غامضة، أثارت الشبهة أنهم سمموا.

---

[1])هو بركة بن جوجي بن جنكيز خان ،ابن عم هولاكو ، ملكْ القفجاق وصحراء سوراق ، عرف بتعظيمه للعلماء ومناصرته للإسلام والمسلمين بعد اسلامه ،كانت وفاته في سنة خمس وستين وستمائة .الصفدي ،المصدر السابق،ج10،ص ص(117-118)؛ابن بردى ،المنهل الصافي، ،ج3،ص ص(349-350).

[2]) من المفارقات أن هذه الرسالة وردت عند محي الدين أنها كتبت سنة660هـ أما عند المقريزي فقد ذكرت بأنها كتبت سنة 659هـ أنظر ، محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص88 وأنظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1،ص539.

[3])وفي أصل هذه التسمية ورد عن المؤرخون رأيان أما الأول: فنسبوا هذ التسمية الى لون خيامهم ذات اللون الذهبي-وهو المشاع- ،أما أصحاب الرأي الثاني فذكرو أن أصل هذه التسمية إنما يعود الى جيش مغولي أطلق عليه هذا الاسم لروعة معسكره. رجب مُحَمَّد عبد الحليم ، **انشار الاسلام بين المغول**،ط1،دار النهضة العربية، القاهرة، د ت ن ،ص104.؛مجموعة مؤلفين، **الموسوعة العربية الميسرة**،ط1،المكتبة العصرية،صيدا-بيروت،1431هـ/2010م،ص2539

[4])المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1،ص 544.؛ محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق ،137؛المقدسي، المصدر السابق، ص220.

- اثارة هولاكو ضد بركة خان، ووفقا لراي كيراكوس الكنجكي فإن أولغو هو من عمل على هذا، كونه نسب مسؤولية ما حدث سنة 649هـ/1251م في بيت جغتاي وهلاكهم الى بركة خان.

- اسلام بركة خان وبإسلامه أصبح الاسلام هو الدين الرسمي لهذه الخانية ،وبموجب هذا عمل على الدفاع عن الاسلام والمسلمين وهاته النقطة من أهم النقاط التي شجعت، وجعلت بيبرس يدخل في معاهدات سياسية مع ملك القفجاق[1].

إن الصراع القائم بين الخانيتين انعكس بالشكل الإيجابي على دولة المماليك، كونه أشغل هولاكو عن قصد بلاد الشام وعن حشد جيشه للانتقام فعلى قول المتنبي:

بذا قضت ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

فكانت هذه الظروف واسلام بركة خان سبباً ممهدا لنشأة علاقة جمعت بين خانية القفجاق وبين المماليك فكسب المماليك على اثرها حليف قوي.

[1])فاسيبي فلاديمير وقتش بارتولد، **تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي** ،تر صلاح الدين عثمان هاشم ،ط1،قسم التراث العربي، الكويت ،1401هـ/1981م،ص 702.

-أنظر ملحق2 (يبين العلاقة بين مغول القبيلة الذهبية والدولة الايلخانية).

2) السفارات السياسية بين المماليك ومغول القفجاق:

بناءً على ما أورده محي الدين فإن أولى هذه السفارات تعود الى سنة (661هـ-1263م) وذلك عندما سير بيبرس كل من الأمير كشربك-رجل تركي له معرفة بالبلاد والألسنة-مع الفقيه مجد الدين الروذراودي برفقة نفرين من المغول الوافدة، يحملون كتاب السلطان الظاهر الى بركة خان، ومما جاء في هذا الكاتب الحث على الجهاد ضد هولاكو ووصف العساكر الاسلامية وأن هذه العساكر رهن طاعته واشارته وإعلامه بإعادة احياء الخلافة العباسية في مصر، وهذا نظرا لما لها من مكانة في النفوس لدى المسلمين، وأن احسانه الى المغول الوافدة لبلاد الشام انما كان من أجله[1].

ومن خلال ما تضمنه هذا الكتاب نرى أن بيبرس يحاول استمالة بركة خان الى جانبه، محاولاً بذلك تشجيعه على قتال مغول فارس ليأمن شرهم، وذلك لان الصراع القائم بين الخانيتين شغل هولاكو عن الانتقام، وأتاح لبيبرس اصلاح الأوضاع وتمكينه على الصعيد الداخلي.

وفي نفس السنة (661هـ-1263م) من شهر رجب وصل الى الديار المصرية كل من جلال الدين قاضي ونور الدين علي التركماني يحملون معهم كتاب بركة خان الى مصر ويذكر في هذا كل من اليونيني[2] والمقريزي[3] والنويري[4] أن ما تضمنه هذا الكتاب بالمفهوم العام هو التأكيد على فكرة التعاون، وذلك بأن طلب منه إنفاذ جماعة من العسكر من ناحية الفرات لإمساك الطريق على هولاكو، كما بين له فيها أن ما يقوم به هولاكو من أعمال انما هو مخالف لتقاليد المغول و مخالف

---

[1]) محي الدين ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ،ص139 والتي بعدها.

[2])اليونيني شيخ الدين موسى بن مُحَمَّد (ت726هـ/1328م)،**ذيل مرأة الزمان** ،ط1،مطبعة مجلس المعارف العثمانية ،حيدر آباد –الهند،1375هـ/1955م، مج 2،ص 195.

[3])المقريزي ،السلوك لمعرفة دول الملوك ،ج1،ص558.ونشير هنا الى أن المقريزي ذكر أن هذا الكتاب كتب في شهر رجب غير أن باقي المؤرخون ذكرو أن وصول هذه السفارة في رجب وهو الأصح .بالاستناد الى تاريخ الذي أرسل فيه الرد على هذه السفارة فقد كان في شهر رمضان ومن غير الوارد أن يكتب الكتاب في رجب ويصل في رمضان نظر للمسافة بين الدولتين.

[4])النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1333م)،**نهاية الأرب في الفنون والأدب**، تح نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز ،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2004م،ج30،ص54.

ليساق[1] جنكيزخان[2].

فجاء نص هذا الكتاب عند اليونيني على النحو الآتي **"أنت تعلم أني محب لهذا الدين وهولاكو قد تعدى على المسلمين واستولى على بلادهم وقد رأيت أن تقصد من جهتك وأقصد من جهتي ونصدمه صدمة واحدة فنقتله أو نطرده عن البلاد ومتى كانت واحدة من هاتين أعطيتك مكان في يدي من البلاد التي أستولي عليها"** [3]

في حين نرى بيبرس المنصوري يذكر ما هو مخالف للمؤرخين السابقين حول ما نصت عليه هذه المكاتبة فمما جاء فيها" **فليعلم السلطان أني حاربت هولاكو الذي من لحمي ودمي لإعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام، لأنه باغ والباغي كافر بالله ورسوله وذكر فيها من أسلم من بيوت المغول بقبائلهم وعشائرهم...،وقد سيرت قصادي ورسولي وهم أربوغا وارتيمو و اونامس، ووجهت ابن شهاب الدين معهم لأنه حاضر في الواقعة ليحكي لسلطان ما رآه بعينه"** وذكر أن هذا الكتاب من ضمن أحداث (661هـ-1263م) وقد حمل هذا الكتاب كل من جلال الدين قاضي ونور الدين علي التركماني[4] إلا أنه وبالمقارنة مع ما ذكرناه سابقا نجد أن هناك تطابق في السنة والرسل، غير أن المضمون ليس نفسه، وهو ما علق عليه الرمزي بقولة أنه قد وقع فيها الغلط والتحريف من قبل النساخ فإن التدقيق في كلمة "وسيرت قصادي ورسولي "بيانٌ على أن هذه السفارة لم توجه من قبل جلال الدين ونور الدين ، وفي قوله أرسلت شهاب الدين غازي دليل على أنه كان

[1])اليساق:الياسا: مجموعة من القوانين وضعها المؤسس الأول جنكيز خان وهو ينص على وضع قانون لكل أمر بحيث لكل مصلحة دستور ، ولكل ذنب حد وعقاب ،الجويني علاء الدين عطاء بن بهاء الدين بن مُحَمَّد ، **تاريخ فاتح العالم جهان كشاي**، تر السباعي مُحَمَّد السباعي،ط1،المركز القومي لترجمة، القاهرة ،1429هـ/2008م،مج1،ص64.

[2]) ولعل ما دفعة لقول هذا عن هولاكو هو ما شاهده من جثث القتلى بعد الحرب التي وقعت بينهما فقد ذكر اليونيني أنه بكى وقال يعز علي أن أرى سيوف المغول تقتل بعضهم بعضا لكن كيف الحيلة مع من غير يساق جنكيز خان، أنظر اليونيني ، المصدر السابق، ج2، ص196 .

[3]) المصدر السابق، ص 195.

[4])بيبرس المنصوري ، المصدر السابق ،ص ص(82-83).

جزء من هذه السفارة[1] ، وهو اسم لم يذكر عند من ذكر هذه السفارة من المؤرخين الاقرب زمنياً لبيبرس .وبما أنه ليست لدينا معلومات دقيقة عن هذه السفارة التي ذكرها المؤرخ بيبرس المنصوري ولم تذكر عند سواه بهذا الشكل يمكن تفسيرها بناء على ما ذهب اليه الرمزي في ظل هذا التضارب، أي أنه وقع فيها الغلط في النقل، وربما لم تسير هذه السفارة في سنة(661هـ-1263م) بل كانت بعدها، وغفل عن ذكرها المؤرخون، ومن الرسالة التي تم سياقها يتبن أن الغرض منها كان تبشير الملك الظاهر بالانتصار الذي حققه على ابن عمه هولاكو، واعلامه بواقع الاسلام وانتشاره في أوساط القبيلة الذهبية، فكانت هذه الرسالة مرجع لمعرفة من أسلم من قبائل المغول بما حوته من معلومات[2].

وبموجب هذه المكاتبات الحاصلة بين الطرفين أرسل الملك الظاهر سفارة على رأسها كل من عماد الدين عبد الرحيم العباسي والأمير فارس الدين أقواش المسعودي حيث حملت معها من الهدايا أنفسها وأجلها وأقدرها فكان من ضمن هذه الهدية ختمة شريفة وسجادات ذات ألوان متنوعة، سيوف قلجورية بأسقاط من فضة وخيل جياد عربية....الخ[3]، ومما زاد من علو هذه المكاتبة أنها كتبت على قطع النصف وذلك في سبعين ورقة بغدادية[4] بخط محي الدين ابن عبد الظاهر[5] ،وخرجت هذه السفارة في شهر رمضان من مصر الى القسطنطينية وذلك لاتخذها نقطة عبور لها ومحطة قبل التوجه الى أرض القفجاق، وبحلول هذه السفارة على هذه الأرض أرسل ورائهم صاحب القسطنطينية ووعدهم بالمساعدة في ارشادهم نحو الوجهة المعنية، إلا أن مكوثهم عند هذا الأخير طال، فنجد اليونيني يذكر هذه المدة بأنها بلغت سنة وثلاث أشهر، حتى بادروه " بقولهم ان لم يمكنك المساعدة

[1]) الرمزي م م ، **وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**، تقديم ابراهيم شمس الدين ،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، 1423هـ/2002م، ج1ص432.

[2]) أنظر ملحق 3(يوضح نص الرسالة كاملة).

[3])محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق ،ص ص(172-172)؛ اليونيني ، المصدر السابق ،ج2، ص197.

[4]):عبارة عن ورق ثخين بيه ليونة، وهو من أجود أنواع الورق ،كان مخصوصا لكتابة المصاحف الشريفة ولا يستعمل فيما عدى ذلك سوى لمكاتبة كبار الملوك والقانات، المقريزي، المصدر السابق ،ج1،ص559، القلقشندي، المصدر السابق ،ج2،ص476.

[5]) المقريزي ، المصدر السابق ،ج1،ص 559.

فأعدنا الى مصر" فأذن لعماد الدين بالعودة غير أنه لم يأذن للفارس المسعودي، وتحجج في عدم السماح لهم بالتوجه نحو القبيلة الذهبية لوجود رسل هولاكو عنده وتخوفه من موقفهم، بالإغارة على أرضه وافتكاكها منه[1]، إن علموا أنه همزة وصل بين أعداء مغول فارس، وقد تطورت العلاقة فيما بعد بين صاحب القسطنطنية ومغول فارس فوصلت للمصاهرة بزواج ابنة صاحب القسطنطينية بأبغاخان[32].

وتعود علاقته بالمماليك الى سنة (659هـ/1261م)بالمعاهدة التجارية التي جمعت بين الطرفين [4] ولم تكن العلاقة الحسنة التي ربطته بالمماليك هي نفس العلاقة مع مغول القفجاق فيمكن أن نصطلح أنها كانت متذبذبة في البداية غير أنها أضحت مستقرة فيما بعد، ولعل العلاقة التي جمعت بين بيبرس وبركة خان لها دور في استقرارها، وذلك أن هجوم هذا الأخير على أطراف القسطنطينية جعل صاحبها يعجل بإرسال رسالة أن البلاد في عهد السلطان بيبرس وصلحه فكان رد القان بأنه في صلح من صالحه وعهد من عاهده [5]،كما حاول بيبرس التوسط بين الطرفين لحل النزاع الذي نشب بينهما سنة (663هـ/1265م) [6]فأستغل صاحب القسطنطينية علاقته بالملك الظاهر في رد غازيه، إلا أن العلاقة الودية التي قامت مع بيبرس سرعان ما تعكرت بعد علمه لعدم بلوغ رسالته لوجهتها وأن رسله قد تم احتجازهم من قبل مخائيل صاحب القسطنطينية، فإقدام بيبرس على جمع البطارقة والاساقفة لإفتائه في جزاء من ينقض العهد عندهم يدل على انزعاجه وهو ما ثبت فعليا

[1]) ابن أيبك الدودار، المصدر السابق،ج8،ص98 ؛اليونيني ،المصدر السابق ،ج2،ص 198.

[2]) أبغاخان: ابن هولاكو ملك بعد ابيه ولم يكن بعده ولد مثله، كان شجعا مقدما كبير الهمة كافر النفس والنحلة سفاكا لدماء فيه كبر زائد وله دهاء وحزم -، على مذهب التتار واعتقادهم ، كانت وفاته بهمذان سنة 680هـ وعمره خمسين سنة، أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ص719.و ابن ثغري بردى ، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**،ج1،ص ص(199-200)،ابن العماد، المصدر السابق،ج5،ص366.

[3])ابن العبري، المصدر السابق،ص497.

[4]) Humphreys R Stephen ,**Ayyubids Mamluks and the latin East in the thirteenth Century**, Universtty of California,1998,Vol 2,p15.

[5])اليونيني ، المصدر السابق، ج2،ص 198؛ ابن أيبك الدواداري ،المصدر السابق ،ج8، ص 98.

[6]) Broadbridge.(Anne.F**), Mamluk Legitimacy and the Mongols The Reigns of Baybars Qalawun,** The Universtty of Chicago,2001,Vol 5, p100.

بإرساله رسالة تنص على قرار الحرمان الكنسي، والتوبيخ واللوم والعتاب[1]وهذا الرد يبين مدى أهمية سعي بيبرس لتكوين علاقة ودية سياسية مع مغول الشمال، على الرغم من أن علاقته مع البيزنطيين لها من الأهمية بمكان وهذا بالنسبة لكلا الطرفين، وعلى هذا الأساس سعى صاحب القسطنطينية لإصلاح هذه العلاقة بإرسال الهدايا [2]، للحد من غضبه فليس من صالحة فتح باب الصراع مع المماليك، وعلاقته مع مغول الشمال في تذبذب كما أشارنا، ومع الصليبين في نزاع منذ الحملة الصليبية الرابعة التي استهدفتها.

وقد توالت المراسلات بين الدولتين حتى بعد وفاة بركةخان ووصول منكوتمر الى الحكم وذلك نظر لاتفاق المصلحة السياسية بين الطرفين، غير أن هذه المراسلات لم ترقى لتكوين أي حلف عسكري مشترك ضد مغول الدولة الايلخانية[3]، فبقي كل طرف يعلم الأخر بمتجددات الأخبار والأحداث فقد ذكر في هذا محي الدين أن بيبرس كان يعلم منكوتمر عما كان يرمي اليه أبغا من خلال رسائله وعن سعيه لمحاولته الصلح [4].

[1]) سعاد هادي حسن ارحم الطائي، **دراسات في تاريخ الترك والمغول**، ط1، دار مكتبة عدنان لطباعة والنشر، بغداد، 1436هـ/2015م،ص259

[2]) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج2، ص 26.

[3]) سعاد الطائي، المرجع السابق، ص 260

-Broadbridge,(Anne F). ,op ,cit, vol 5, p101.

[4]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص 411.

3) المصاهرة السياسية :

تعتبر فكرة المصاهرة السياسية بين بيبرس وبركة خان من بين الأفكار التي تناقلها جزء كبير من الباحثين في كتاباتهم، بل حتى هناك من سعى منهم لإثبات هذه العلاقة الاجتماعية وايرادها ضمن العلاقات التي جمعت بين الدولتين فكان هذا من باب الغلط والخطأ، والراجح أن سبب هذا الخطأ هو التشابه في الأسماء، فنجد من المؤرخين المقريزي يذكر أن أم الملك السعيد بركة خان هي "ابنة بركة خان بن دولة خان التتري"[1] فالظاهر أنه تم تأويل هذا الاسم على أنه بركة خان زعيم القبيلة الذهبية فاستدلالا بهذا الاسم أقروا بوجود علاقة مصاهرة قامت بين بركة خان وبيبرس دون تدقيق أو تمحيص لما تم ذكره عند المقريزي وغيره من المصادر.

ونجد أن سعاد الطائي كانت من ضمن المؤرخين الذين اعتمدوا على ايراد هذه العلاقة على ضوء ما ذكره المقريزي وقالت في هذا أنه اذا كان المقريزي يعني بيه نفس الشخص-أي بركة خان زعيم القبلة الذهبية- فهذا يعنى أن بركة خان قد حمل اسم عربي اسلامي وهو حسام الدين[2]، وقد توجه كل من مُحَّد جمال الدين سرور[3] وعبد الفتاح عاشور[4] الى ايراد هذه المصاهرة ضمن العلاقات التي جمعت المماليك ومغول القبيلة الذهبية .

ان تتبع هذه الفكرة من خلال الرجوع الى المصادر أتاح لنا كشف بعض الملابسات، فبالرجوع الى كتاب المقريزي وقفنا على شيئين أولهما أنه قد ورد في موضع أخر الاسم الكامل لجد السلطان السعيد فجاء على النحوي التالي "بركة خان بن دولة خان التتري الخوارزمي" وهو نفس الاسم الذي ورد عند اليونيني[5]، وأما الثاني فعلى مستوى نفس الفقرة التي ورد فيها اسم بركة خان يذكر معلومة.

---

[1]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص107.

[2]) سعاد الطائي، المرجع السابق، ص 259.

[3]) مُحَّد جمال الدين سرور، المرجع السابق،113 .

[4])عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، 92.

[5])اليونيني، المصدر السابق، ج3، ص249.

غاية في الأهمية وهي تاريخ ميلاد السلطان السعيد فذكر أنه كان في (658هـ/1260م)[1] وهي الفكرة التي نفاها بارتولد استنادا لتاريخ العلاقة التي جمعت بين القائدين والتي تعود الى (660هـ/1262م) وقبل هذا التاريخ لم تجمع بينها أي رابطة أو صلة فذكر بأن هناك خطأ في تاريخ ميلاده[2]، وهذا غير وارد بالرجوع الى بعض المصادر العربية التي كانت قريبة من الاحداث وسجلت تاريخ ميلاده فقد ذكر أنه كان في(658هـ/1260م)[3]،وما يزيد من الاثبات أن فكرة المصاهرة بين القائدين لم ترد عند محي الدين ابن عبد الظاهر وهو مدون السيرة، فمن غير الوارد أن يتوانى عن ذكر هذا لما لها من أهمية في اطار تقوية الصلة السياسية والاجتماعية بين الدولتين

وبهذا يمكن القول أنه لا وجود لأي مصاهرة سياسية حدثت بين بيبرس وبركة خان وأن ما اتجه اليه الباحثون المعاصرون انما كان بسبب التشابه في الأسماء.

وقد كان من نتائج ما أثمرت عنه هذه السفارات الدبلوماسية أن توثقت أواصر العلاقة السياسية بين الدولتين، لتستفيد دولة المماليك من جراء هذا التواصل، من استمرار تدفق المماليك من بلاد القفجاق[4]، واغتنام بيبرس البندقداري للحرب الأهلية القائمة بين الخانيتين المغوليتين بتوجه ضربات متتالية على الامارات الصليبية[5]، فقد كانت كالشوكة في بلاد المسلمين

---

[1]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2،ص107

[2]) بارتولد،تاريخ الترك في أسيا الوسطى،تر أحمد السعيد سليمان،ط1، الهيئة المصرية العامة، مصر،1416هـ/1996م،ص196.

[3])ابن ثغري بردى يوسف جمال الدين أبو المحاسن (874هـ/1470م)**مورد اللطافة في من ولى السلطة والخلافة** ، تح نبيل مُحَمَّد عبد العزيز،ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص53 و اليونيني، المصدر السابق،ج3، ص249.

[4]) مُحَمَّد سهيل طقوش، **تاريخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)**،ط1، دار النفائس، القاهرة ،1418هـ-1997م، ص112.

[5]) نفسه، ص 112 وسعاد الطائي، المرجع السابق ،ص 253.

-تجدر الاشارة هنا الى أنه نظرا للاختلافات الواقعة بين المؤرخين في تواريخ هذه السفارات وترتيبها تم الاعتماد على أقرب مؤرخ من بيتهم زمنيا ،والأقرب لمشاهدة الأحداث فكان محي الدين ابن عبد الظاهر المرجع الأساسي الذي اعتمدنا عليه في تتبع هذه السفارات زمنيا ، وقد تم ايراد الاختلاف لما رأينه في المراجع التي اكتفت بذكر هذه السفارات دون تنبيه للاختلاف فجلها اكتفى بذكرها وبيان مضمونها.

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية:

1) الطرق التجارية:

تميزت مصر وبلاد الشام بموقع فريد ومتميز أكسبها دورا هاما في تاريخ التجارة الدولية، خلال الفترة الوسطية فعدت على اثر هذا الموقع الاستراتيجي مركزا وسوقا هاما لتبادل التجاري [1]،فهي أرض المنافع والبساتين والغرف المشرفة على النيل[2]، وذلك بأن جعلها الله متوسطة بين الإقليم الثالث والرابع فسلمت من حر الإقليم الأول والثاني وبرد الإقليم الخامس والسادس[3] ،فكان موقعها من أعجب بقاع الأرض[4] ،ويصف المقدسي كل من بلاد مصر والشام فيقول أن اقليم مصر قد وضعه الله تعالى بين البحرين وأعلى ذكره في الخافقين حسبك الشام على جلالتها رستاق والحجاز مع أهليه عياله[5].

فكان بذلك لهذا الموقع دوره وخاصيته في أن جعلها تتبوأ مكانة سياسية واقتصادية متميزة وفريدة.

وتكمن أهمية هذا الموقع على الصعيد التجاري في الوجهتين البحريتين التي وقعت ضمنهما مصر فمن الناحية الشمالية البحر الأبيض المتوسط ومن الناحية الشرقية لمصر البحر الأحمر، وقد أصبح هذا الأخير عصب التجارة، بعد تعطل الطريق التجاري البري من وسط أسيا بسبب الغزوات المغولية التي سيطرت عليه فكان هذا الطريق المنفذ والشريان الوحيد الأكثر أمنا، لتتدفق من خلاله التوابل

---

[1])حبيب شوقي عبد القوي عثمان ، **التجارة بين مصر وافرقيا عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517م)**، ط1، المجلس الأعلى لثقافة ،مصر ، 1420هـ/200م، ص14.

[2]) الحميري مُحَمَّد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1404هـ/1984م ،ص 552.

[3]) مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار في وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد،ط1،دار الشؤن الثقافة العامة ، العراق ،د ت ن، ص 62.

-لفهم ومعرفة تقسيم الأقاليم أنظر القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد.

[4]) الظاهري خليل بن شاهين، المصدر السابق ،ص 25.

[5])نقلا عن فوزي رمضاني ،المرجع السابق ،ص 35 .

من الهند والحرير من الصين والسلع من اليمن [1].

وبرز دور المماليك في محاولة ارساء الأمن والأمان على طول هذا الطريق ، فكان ارسال حملة تأديبية الى ملك النوبة بعد إقدامه على تخريب عيذاب[2] في سنة (674هـ/1276م) بناء على هذا الأساس[3]، وفترة حكم بيبرس من أكثر الفترات الزمنية التي عرفت الاستقرار والأمان فقد شهدت، قدوم التجار من اليمن مرتين في السنة الى مصر[4].

وهذا فيما تعلق بالناحية الشرقية أما الناحية الغربية لمصر وبلاد الشام فهي لا تقل مكانة عن سابقتها، لغدو سواحلها مرسى لسفن التجارية القادمة من الغرب ونخص منها المدن الايطالية الثلاث(جنوة- بيزا –البندقية) الذين ربطتهم الصلات التجارية مع المسلمين منذ أيام الأيوبيون، فبينما كانت الحرب مستحكمة من جهة بين الطرفين كانت هناك علاقات تجارة قائمة وهو ما عبر عنه المؤرخ ابن جبير[5] انطلا من مرئ عينة بقوله " إن أعجب ما يحدث به الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج الى بلاد الإفرنج وسبيهم يدخل الى بلاد المسلمين"[6]فلعل الاحتكاك العسكري بين الطرفين هو

السبب المباشر في ميلاد هذه الحركة التجارية، التي لم تسطيع الكنيسة السيطرة عليها حتى بإصدارها

---

[1]) نعيم زكي فهمي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها(أواخر العصور الوسطى**) ط1،المكتبة العربية ،القاهرة ،(1393هـ/1973م)،ص 125؛ شوقي عبد القوي عثمان ، المرجع السابق، ص ص(115-117)؛ زيتون عادل **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى** ،ط1،دار دمشق ،سوريا، 1400هـ/1980م، ص 187.

[2])بلدة على ضفة بحر القلزم وهي المرسى الأول لسفن القادمة من الشرق ومن عدن الى الصعيد ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج6،ص246.

[3])شوقي عبد القوي عثمان ، المرجع السابق، ص ص(118-119).

[4])محي الدين ابن عبد الظاهر ،المصدر السابق، ص 132.

[5])هو ابو الحسين أحمد بن أحمد، أحد علماء الأندلس في الفقه والحديث ونال حظه من الأدب، أشتهر برحلته فسمي كتابه عنها" رحلة ابن جبير" ومما جاء في هذا الكتاب أنه بين جزء من العلاقة التي كانت بين المسلمين و الصليبين زمن الحروب الصليبية، فكانت هذه الرحلة فريدة من نوعها لاحتوائها على معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية مست حقبة تاريخية مهمة، أنظر مقدمة كتاب، ابن جبير ابو الحسين مُحَّد بن أحمد(ت614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير** ،ط1،دار صادر ، بيروت ، د ت ن

[6]) المصدر السابق،ص 271.

لقرار الحرمان الكنسي بحق من يتعامل مع المسلمين، فنرى الإيطاليين يردون على هذه القرارات الكنسية بقولهم أننا إيطاليين أولا إفرنجيين ثانيا، وهذا بيان على تقديم مصالحهم قبل انتمائهم الكنسي

2) علاقة بيبرس مع المدن الايطالية (البندقية –جنوة)

1.2)علاقته مع البنادقة:

تعتبر العلاقات التجارية القائمة مع المدن الإيطالية في الدولة المملوكية امتداد لما كانت عليه أيام الأيوبيين، فعلى الرغم من الغارات التي شنها بيبرس ضد هذه الإمارات بقيت العلاقة التجارية بين الطرفين قائمة، فنراه في بداية حكمه يميل لمصالحة كل من صاحب يافا وبيروت بعد الغلاء الذي عم بالشام والذي صوره الحلبي فقال" اشتد الغلاء في هذه السنة في جميع الأصناف فمات خلق كثير من الجوع بحلب وحماة وغيرها "[1]، وذلك لأن كثر الجلب كان يقدم من بلاد الافرنج فكان من نتائج هذه المصالحة مع البنادقة[2] أن أمنت السبل وكثر الجلب من تردد التجار[3].

وبفتح الملك الظاهر لإمارة أنطاكية[4]سنة(666هـ/1268م) تضررت مصالح البنادقة وذلك لفقدهم أحد المراكز المهمة التي كانوا يرتدونها، والغريب في هذا أنه على الرغم من فقدهم لهذه الإمارة كانت الأسلحة والمؤن والأخشاب تصل الى ميناء الإسكندرية عن طريقهم[5] وهو ما أزعج على ما

---

[1])الحلبي مُحَّد راغب الطباخ، **اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء**، صححه مُحَّد كمال،ط2، دار القلم العربي، حلب، 1408هـ /1988م،ج2، ص253.

[2]) محي الدين ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق ،ص 118.

[3]) نفسه ،ص 118،بيبرس المنصزري ، المصدر السابق،ص67.

[4]) أولى الإمارات الصليبية التي استولى عليها الفرنج (491هـ/1097م) يلتقي عندها الطريقان التجاريان القادمان من مرعش وحلب وعندها ينتهي الطريق القادم من اللذقية وساحل لبنان ويبدأ منها الطريق المؤدي الى الاسكندرية وميناء السويد وهذا الوصف لموقعها بين مدى أهميتها وحجم الضرر الذي ألحقه فتحها بيهم فهي عبارة عن مركز التقاء الطرق التجارية ،مُحَّد عبد الرحيم **الطشاني العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين في بلاد الشام(490-690هـ/1069-1292)** ماجستير تاريخ إسلامي ، كلية الآداب ، جامعة بن غازي ،2012/2011،ص 19.

[5]) زيتون عادل ،المرجع السابق،ص197.

يبدوا الأمير الإنجليزي ادوارد فعند رؤيته لذلك، مكان من الباليو فليب بيلكنوا Beligno إلا أن الترخيص الكتابي الذي منحه ملوك بيت المقدس لتجار، والذي تقوم على أساسه هذه المعاملات التجارية، وبالتالي أسكت احتجاج هذ الأمير[1]

2.2) العلاقة مع جنوة :

يذكر كل من محي الدين [2]والمقريزي[3] قدوم رسول من جنوة (661هـ/1263م)الى بيبرس غير أن كلاهما لم يصرح بوجه الخصوص عن طبيعة هذه السفارة ولا ما تضمنته، فلعلهم قصدوا من جرائها كسب ود السلطان الى صفهم بعد الضعف الذي أصاب تجارتهم في مدينة عكا من جراء التنافس التجاري، وتحديد امتيازاتهم في مصر [4].

وبالمضي الى سنة (674هـ/1276م) يذكر ابن الفرات قدوم سفارة من جنوة تحمل معها هدايا سنية لسلطان، فنتج عنها كتب موادعة بعدة فصول والصلح مع الجنويين[5]، ولم يفصل فيها ابن الفرات كغيره من المؤرخين فنراه يشير الى هذا الصلح والموادعة دون ذكر هذه الفصول، ويرى عادل زيتون أن هذه السفارة حلت بعض المشاكل العالقة بين الطرفين كما استطاع الجنويين من خلالها الحصول على الأمن والحماية لأعمالهم التجارية[6].

ويعود اهتمام بيبرس بالجنويين أكثر من غيرهم من الصليبين في الجانب التجاري، للمنفعة المترتبة من جراء هذه العلاقة، فنجد أنه استفاد من هذا التواصل استمرار تدفق الحديد والقار الى مصر، ولعل الأهم من هذا هم استمرار تدفق الرقيق للدولة المملوكية من الشمال بعد سيطرة الجنويين

---

[1])Henry Detweiler, **Venice In The Thirteenth And Fourteente Centuries**, London, George Allen Sons, 1910AD, P138.

[2]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص

[3]) المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص 558.

[4]) زيتون عادل ، المرجع السابق، ص217.

[5])ابن الفرات المصدر السابق، ج7،ص 44.

[6]) زيتون عادل ، المرجع السابق ،219

على هذه التجارة في البحر الأسود وحصولهم على التمكين من قبل صاحب القسطنطينية وبركة خان[1]،فشملت نفوذهم السيطرة على أهم مستعمرتين لهذه التجارة وهم كافا وتانا[2].

وارتبطت بيزا هي الأخرى بعلاقات تجارية مع مصر إعتبار من النصف الأول من القرن الثاني عشر قبل الميلاد إن لم يكن قبل ذلك[3]

3) علاقة بيبرس مع الإمارات المسيحية في اسبانيا:

ان العلاقة التي ربطت بيبرس مع شبه الجزيرة الإيبرية كانت قائمة مع كل من مدنيتي اشبلية[4] وأرغوان[5]، فيذكر ابن شداد أن العلاقة التي قامت مع ملك اشبيلية ألفونسو أعربت عن قيام سفارتين متبادلتين بين الملكين، فكان المبادر هو صاحب إشبلية محاولا استمالة السلطان ليضمن سير مصالحه على أرض مصر، ليرد عنها الملك الظاهر في(675هـ/ 1277م) [6]وكانت قد جمعت بينهما معاهدة تجارية قبل هذا تم توقيعها في سنة(669هـ-1270م)[7]، أما عن علاقته بملك أرغوانة فلم تختلف

---

[1])زيتون عادل، المرجع السابق ،ص219؛ عادل هلال، **العلاقات بين المغول وأروبا وأثرها على العالم الاسلامي** ،ط1،عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،مصر، د ت ن، ص 222 و عطية عزيز سوريال ، **العلاقات بين الشرق والغرب (تجارة ثقافة صليبية)**،تر فليب صابر يوسف،ط1،دار الثقافة ،1392هـ/1972،ص172.

[2])مدينتان جنوب روسيا وهما من أعظم الأسواق في تجارة الرقيق سيطر عليها الجنوين ،بتمكين من البيزنطيين أسرة آل باليولوجس فحلو بذلك محل البنادقة ، هلال عادل، المرجع السابق ،ص 175؛عطية عزيز سوريال ، المرجع السابق ،ص172.

[3]) سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص149.

[4])اشبلية: مدينة عظيمة تقع غرب الأندلس وجنوبه تطل على المحيط أطلق عليها اسم حمص، أبو الفدا، تقويم البلدان، المصدر السابق،ص184؛ ياقوت الحموي ، المصدر السابق ،ج1،ص144.

[5])ارغوان: بالفتح ثم السكون وهي بلدة من ناحية جبال الأندلس ، نفسه، 144.

[6])ابن شداد عز الدين مُحَمَّد بن علي بن ابراهيم (684هـ/1286م)، **تاريخ الملك الظاهر**، اعتناء أحمد حطيط ،ط1،فرانز شتايز .،د ب ن، 1403هـ/1983م،ج21،ص ص(131-132).

[7]) نفسه، هامش الصفحة .131

ذكرت هذه السفارة عند ابن شداد كما وردت عند اليونيني نقلا عنه، بين فيها أسماء الرسول الذين أرسلهم بيرس، و خط سير الرحلة ، فذكرا المدن التي مروا بها ،وكيف كانت معاملة السكان لهم ، لكنه أجاز فيها فلم يفصل في هذا الجانب ولا في الهدايا المحمولة سوى قوله "هديا وعقاقير.

غايتها عن سابقتها، إلا أن ملك أرغوانة كان خاضع للقرارات وتعاليم الكنيسة فبإصدار البابا جرجوري العاشر قرار ينص على منع التجارة مع المسلمين حتى انقاد له، ومنع تصدير المعادن والأخشاب على اعتبارها مادة مهمة لشرق الأدنى [1].

ولم تكن هذه العلاقات الاقتصادية في عهد بيبرس هي الوحيدة بل سعت صقليه هي الأخرى لمحاولة تكوين علاقات تجارية مع مصر وذلك في اطار علاقة الصداقة والود التي جمعت بينهما [2].

ويرى مُحَمَّد سهيل طقوش بأن هذه العلاقات الاقتصادية —التجارية- كانت ذات طابع سياسي [3]

ومن خلال ما سبق نشير في الأخير الى أن المعلومات كانت الى حد ما شحيحة في الجانب الاقتصادي في المصادر العربية بالمقارنة مع ما اطلاعنا عليه في المراجع الاجنبية التي بينت جزءا منها، فقد اكتفت المصادر العربية بذكر قدوم السفارات التجارية لكن لم يبنوا الاتفاقيات الحادثة بين الطرفين بشكل دقيق ومفصل .

وبطبيعة الحال فإن العلاقة التجارية القائمة بين أي دولتين تقوم على أساس تبادل المنافع ،بحيث تُسطر هذه المنافع بناء على المصلحة التي دعت إليها، فكان غرض الغرب من السعي لكسب ود السلطان هو الحصول على منتوجات الشرق لإعادة بيعها في الغرب، ففي هذا تكون المنفعة المترتبة هي تحقيق مكسب مادي بدرجة الأولى.

أما عن بيبرس فمن خلال ما ذكرته الكتب كان اهتمامه بالجنويين أكثر من غيرهم، وذلك لما اقتضته المصلحة، فجلب الرقيق من الشمال الى مصر لا يتم إلا عن طريق الجنويين الذين سيطروا على

---

[1]) W.Heyd **, Histoire du commerce de levant Au Moyen-AGE**,PARIS,1885, PP(122-123)

[2]) تعود هذه العلاقة هي الأحرى الى زمن الأيوبين ،فقد حرص كل من مانفريد وشارل أنجو على صداقة بيبرس فجمعت بينهما سفارات سياسية اقتضتها المصلحة المشتركة المتمثلة في العداء لصليبين ولمغول الدولة الإيلخانية ،أنظر مُحَمَّد سهيل طقوش،تاريخ المماليك، ص148والتي بعدها.

[3]) المرجع السابق،ص150.

هذه التجارة ،فكانت المنفعة المترتبة تقوية الشوكة بزيادة عدد المماليك من الجنس القفجاقي.

في حين أن علاقته بباقي المدن الأوربية كانت قائمة على أساس استيراد الأخشاب والحديد ،وهي واحدة من المواد الأساسية التي تستعمل في صناعة السفن والسلاح، كونه عمل في فترة حكمه على اعادة بناء الأسطول البحري وهذا حسب ما جاءت به المصادر.

المبحث الثالث: العلاقات السياسية مع المناطق المجاورة لدولة المماليك.

1) علاقة دولة المماليك مع تونس:

على الرغم من عامل الجوار والدين والخطر المشرك الذي هدد العالم الإسلامي أنذك إلا أن العلاقة بين المماليك وتونس شابها نوع من الفتور[1]، وذلك بسب إحياء الخلافة في كلا القطرين ،ففي تونس الحفصية كان أول من تلقب بأمير المؤمنين ونسبت إليه الخلافة هو المستنصر بالله أبوا عبد الله مُحَمَّد ابن السلطان أبي زكريا يحي، وذلك بعد أن تعطلت الخلافة في زمانه في سائر الأقطار[2]. ومما أضفى لخلافته مزيد من الشرعية هي المبايعة التي أقرها شريف مكة للحفصين في تونس[3].وبإعادة إحياء الخلافة في مصر لم يتنازل الحفصيون عن اللقب وحافظو عليه، على الرغم من أن مصر هي من غدت إيوانً للإسلام والمسلمين. فكانت بذلك مسألة الخلافة هي السبب الرئيسي والمباشر في هذا الفتور القائم، فقد سعى كلا العاهلين لإضفاء الشرعية لحكمهما من خلال السعي لمنصب الزعامة الشرعية.

والواقع ان المماليك لم يعترفوا بإمارة أمير المؤمنين في السلالة الحفصية فاكتفوا بتلقيب أميرها بأمير المسلمين[4]، والشيء المميز في هذه العلاقة أنه على الرغم من هذه الحساسية والفتور بين الدولتين لم يدوم، زمن الصراع فما إن تسرب خبر قيام حملة جديدة يمهد لها ملك فرنسا، وتستهدف ديار المسلمين حتى أقدم بيبرس على إرسال كتاب لملك فرنسا لويس التاسع، وهو عبارة عن أبيات نظمها وأنشدها كمال الدين ابن مطروح، تتضمن التذكير والوعيد ذكرا في مطلعها:

قلْ للفَرْنسْيس اذا جئته مَقَالَ صدق من قؤول

---

[1]) مُحَمَّد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك،ص109.

[2]) القلقشندي ، المصدر السابق،ج5،ص ص(134-135)؛ الزركشي عبد الله مُحَمَّد ابراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح مُحَمَّد ماضو، ط2، المكتبة العتيقة ،تونس،د ت ن، ص164.

[3]) عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص112، ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1406م) **تاريخ ابن خلدون**، ضبط خليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، 1431هـ/2000م، ج6، ص407.

[4])مُحَمَّد سهيل طقوش ،تاريخ المماليك، ص110.

وفي أخيرها:

وقل لهم إن أضمروا عودة لاخذ ثأر أو لفعل قبيح

دار ابن لقمان على حالها والقيد باق والطواشي صبيح [1]

ومفاد هذا البيت التذكير بما حل بلويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة ،فبعد أن مني بالهزيمة تم أسره في دار ابن لقمان وأطلق صراحه مقابل مجموعة من الشروط والعهود من بينها عدم قصده لديار المسلمين غير أنه أخلف بما عهد و وعد، ويورد ابن خلدون في هذا الصياغ أن لويس أقر بنقض العهد لرسول الملك الظاهر، إلا أن وجهته المعنية ليست مصر، بل إن الوجهة المقصودة هذه المرة تونس[2]، وفي الحقيقة لم تكن هذه الأخيرة سوى ذريعة تستر من ورائها لاستهداف مصر، بدليل ما ذكره اليونيني فيقول: أن هذه الحملة كانت موجهة بالأساس الى دمياط ،إلا أن أصحابه ومن معه أشاروا عليه بقصد تونس قائلين "أنك إن ظفرت عليه –الأمير الحفصي-تمكنت من قصد الديار المصرية في البر والبحر فأعرض عن رأيه"[3]

ويبين هذا مدى حقد لويس التاسع على المسلمين والسعي في محاولة تمكين فرنسا فيما وراء البحر وبعد أن تسنى للملك الظاهر أن يعلم من رسوله أن الحملة تستهدف تونس لم يثنى هذا من عزمه، لأجل مصلحة المسلمين بشكل عام[4]،وفي هذه الحملة من الخطر على مصر ما هو ظاهر للعيان.

---

[1])ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت810هـ)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح مُحَمَّد الشاذلي البنفر، عبد المجيد التركي،ط1،الدار التونسية لنشر والتوزيع، تونس،1406هـ/1986م، ص(110-111).،الشماع أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن مُحَمَّد المعموري،ط1، الدار العربية للكتاب،

د ب ن،1984م ،ص ص(70-71).

[2])ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج6، ص427.

[3]) اليونيني، المصدر السابق، ج2، ص200.

[4])ممدوح حسين، **الحروب الصليبية في شمال افرقيا وأثرها الحضاري**،ط1،دار عمار،عمان،1419هـ/1998،ص256؛ مُحَمَّد سهيل طقوش ، تاريخ دولة المماليك، ص110.

وأرسل بذلك بيبرس رسالة الى صاحب تونس الحفصي يقوى عزمه، ويبلغه بإرسال العساكر الإسلامية للمساندة في رد الحملة، فكتب الى عربان الغرب وبرقة بالتقدم لإنجاد إخوانهم وحفر الآبار في طريق العساكر[1]، وفي ظل هذا حدث ما كان من شأنه إضعاف هذه الحملة وهو موت لويس التاسع بسب الوباء الذي دب في أوساط جيشه فأودى بحياة الكثير منهم وعلى رأسهم قائد الحملة[2].

وما يدعو للحيرة في هذه الحملة هو رد الملك الحفصي فعلى الرغم من فشل الحملة تقريبا إلا أنه لجأ الى التفاوض على الرغم من أنه كان في محل القوى، فلم يعمد بذلك على مهاجمتهم واستئصال شأفتهم ،بل تقاعس عن الجهاد فأنتقد على هذا من قبل بيبرس وأخبره بأن من مثله لا يصلح أن يلي أمر المسلمين[3].

وقد اعتمدت سياسة الملك الحفصي على المفاوضات والسلمية، وهي أسلوب مخالف لسياسة بيبرس الذي أعلى من قيمة الجهاد فبيبرس ارسل رسالة الى بلاط الملك لويس فيها من التهديد والوعيد ما هو ظاهر للعيان دون خوف ودون أي اعتبار للكياسة والأعراف الدبلوماسية، فأسلوبه هو أسلوب الرجل العسكري الذي يؤمن أن القوة العسكرية هي وحدها الكفيلة بالقضاء على الصليبين [4]

نظرا للاختلاف الفكري والتوجه السياسي لم تجمع بين الطرفين على ما يبدو أي علاقات عسكرية أو سياسية أو تجارية مشتركة.

[1])محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق،ص374.

[2])نفسه ، ص 374؛ لمقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج1،ص562،النويري، المصدر السابق،ج2،ص200.

[3]) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك،ص110؛ ممدوح حسين، المرجع السابق، ص257.

[4]) نفسه، ص 258.

2) علاقة دولة المماليك مع اليمن:

نظرا للمصلحة التجارية والسياسية لبلاد اليمن اقتضت الضرورة تكوين علاقات ودية مع دولة المماليك ذات النفوذ المتصاعد فكانت أولى السفرات اليمنية المرسلة للملك الظاهر من سنة(661هـ/1263م)، حيث تمثلت في هدية خص بها الأمراء والخواص في مصر[1]، لتشهد نفس السنة قدوم التجار اليمنيين لمصر[2] ،كونها محطة تجارية أساسية لهم ، فكما هو معلم أن اليمن والفرس جمعتهم علاقات تجارية منذ القديم ، وبسقوط بغداد أضحت مصر وجهة وحيدة وأساسية.

فكان بذلك الجانب التجاري أحد العوامل المحركة للمبادرة في هذا التواصل، وأضف الى ذلك وجود عامل أخر وهو لا يقل أهمية عن الدافع التجاري، وهي للانتصارات التي توالى الملك الظاهر في تحقيقها[3]، فأرسل على إثريها، الملك المظفر صاحب اليمن[4] هدية يذكرها كل من المقريزي[5]، وابن ثغري بردى[6]، بأنها عبارة عن مجموعة من الحيوانات-فيل خيل حمار وحشي- وأدوات حرب وتحف...الخ، ورسالة جاء نصها على النحو التالي:

" قد سيرنا اليك ألة السلم وألة الحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد"[7]، وطلب محالفته مقابل الخطبة باسمة في بلاده[8].

---

[1]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص182.

[2]) يخائيل خوري، **سيرة الملك الظاهر**، أطروحة ماجستير في الآداب قسم تاريخ، الجامعة الأمريكية في بيروت، لبنان،(1381هـ/1961م) ص 206

[3]) نفسه ،ص 206

[4]) هو يوسف بن الملك المنصور نور الدين بن رسول التركماني اليمني ولد سنة 617هـ في مكة تولى الحكم بعد أبيه طيلة خمسة وأربعون سنة سمى بالملك المظفر صاحب اليمن، ابن الفرات، المصدر السابق، ج8،ص202 والخزرجي علي بن الحسين ، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، اعتنى به مُحَمَّد بسيوني عسل،ط1،مطبعة الهلال،مصر،1329هـ/1911م،ج1،ص50.

[5]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2،ص ص(47-48).

[6])ابن بردى، النجوم الزاهرة،ج7،ص141.

[7]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج2،ص 48.

[8])ابن بردى ،النجوم الزاهرة،ج7،ص141.

فكان بذلك يحاول تكوين علاقات ودية مع دولة المماليك الصاعدة، نظرا لما تعود عليه من مكاسب، كونهم مجتمع تجاري بالفطرة ،وأضف الى ذلك أن الاحتماء بدولة المماليك كان يجنب اليمنين هجوم المغول عليهم ويجعلها تحت حماية الملك الظاهر.

وقد تمثل رد بيبرس على ما طلبه صاحب اليمن بالموافقة[1]، وما إن حج بيبرس حتى تواصل مع صاحب اليمن[2]، وأخذ يحثه للمشاركة في التصدي للمغول[3]، كونهم أقرب اليهم من حيث المسافة، إلا أن ملك اليمن اكتفى بإرسال الهدايا النفيسة والثمينة دون أن يشرك نفسه في الجهاد. وفي هذا جزء من التأكيد على أن ما أشارنا إليه سابقا حول دوافع هذا التواصل وهو يحتمل وجها من الصواب.

3) علاقة دولة المماليك بالحبشة:

تعود روافد هذه العلاقة الى زمن سابق لعهد بيبرس البندقداري، تحديدا الى سنة 320هـ/932م أين أقرا مجمع نيقية المسكوني تبعية كنيسة الحبشة لبطريكية الاسكندرية فمنذ ذلك الوقت يتم تعين مطران[4] كنيسة الحبشة من كنيسة مصر، فكلما خلا هذا المنصب ، أرسلت الحبشة بسفاراتها لترسيم مطران جديد[5]، وكانت السفارة التي أرسلها نجاشي الحبشة لأجل هذا الغرض، فمما جاء فيها:

"أقل الممالك فخراً أملاً، لك يقبل الأرض وينهي بين يدي السلطان الملك المظفر، خلد الله ملكه،...فنحن ما جاءنا مطران مولانا السلطان ونحن عبيده، فيرسم مولانا السلطان للبطريك يعمل لنا مطران..."[6]

[1]) اليونيني، المصدر السابق،ج2، ص373.

[2])ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1459.

[3]) محي الدين ابن عبد الظاهر ، المصدر السابق، ص356.

[4]) المطران: هو القاضي الذي يفصل في الخصومات ، ويستمد منه الملك التأييد في أعماله و حروبه، عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص125، القلقشندي، المصدر السابق، ص 473.

[5]) عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص ص(124-125).

[6]) لم ترسل هذه السفارة بطريقة مباشرة الى السلطان الظاهر وانما كان الوسيط في ذلك ملك اليمن.

فأتاه الرد بأن أثنى عليه أولا غير أن جوابه كان فيه نوع من الغموض و الالتباس فلم توضح الرسالة إرسال المطران من عدمه[1].

ومن خلال الرسالة التي تم سياقها من قبل ملك الحبشة، وبالنظر الى ما ورد فيها من مصطلحات دلت على دنو مكانته بالنسبة للملك الظاهر، يمكن القول أو بمعنى أخر أن نثبت ما ذكرناه سابقا حول المكانة التي حظي بها بيبرس وبلغها بفتوحاته وانجازاته فأصبح لاسمه وزنه لدى السلاطين، ولعل من بين هذا الدور أكثر المؤرخ مُحَّد جمال الدين سرور[2] بقوله" أصبح بيبرس مهيب الجانب موضع احترام الملوك فكانوا يسعون لتودد إليه والتقرب منه"

من خلال ما تم تسليط الضوء عليه في هذا الفصل نرى أن العلاقات السياسية والاقتصادية قامت على أساس تبادل المنافع، فكانت العلاقة السياسية مع مغول القبيلة الذهبية لغرض لحماية سياج الدولة الاسلامية من خطر مغول الدولة الايلخانية، أما تلك التي قامت مع الدول المجاورة فغالبا ماسعت لها تلك الكيانات بعد علوي كعب السلطان-باستثناء تونس التي تميزت العلاقات بينهما بالفتور على رغم من عامل الجوار، وهذا في الجانب السياسي فقط، فنحن نعلم أن بلاد المشرق بالنسبة لطلبة العلم والحجاج المغاربة كانت منطقة تشد اليها الرحال في كل عام، وانتشار الامن والامان في ظل هذه الدولة لابدا وأن يكون له أثره لدى المغاربة، غير أننا لم نعثر عليه وكل ما توصلنا إليه وجود اسم مغربي أندلسي كان قائد لإحدى حملات بيبرس-. أما عن العلاقات الاقتصادية فهي من الغرابة بمكان فبينما كان بيبرس يش حملات التصفية ضد الوجود الصليبي كانت العلاقات التجارية قائمة، وهي علاقات متشابكة يصعب فهمها إلا بتحليلها و بدراستها بشكل مستقل .

. .

[1])ابن العسال مفضل ابن ابي الفضائل، **النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، تح مُحَّد كمال الدين عز الدين علي السيد، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1438هـ/2017م، ص ص(197-198).

[2]) مُحَّد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 124.

الفصل الثالث: الحملات العسكرية وعوامل نجاح السلطان الظاهر بيبرس البندقداري

- المبحث الأول: الجهاد ضد الصليبيين
- المبحث الثاني: الجهاد ضد مغول الدولة الإيلخانية
- المبحث الثالث: ضم بلاد النوبة
- المبحث الرابع: علاقته مع الحشاشين

لم يعتمد بيبرس في مواجهة الأخطار الخارجية على الأسلوب الدبلوماسي فقط، بل أرفقه بالنشاط العسكري وذلك لما كان لهذا الأسلوب من ضرورة في مجابهة الأخطار الخارجية المحيطة والمترصدة بالدولة المملوكية فأولى بذلك من قيمة الجهاد متتبعا نهج صلاح الدين الايوبي .

المبحث الأول: الجهاد ضد الصليبين:

بعد تأكد بيبرس أن الناحية الشرقية أضحت شبه أمنة نظرا لانشغال هولاكو بالحرب الأهلية تسنى له الانشغال بالضفة الغربية التي شهدت انتشار الإمارات الصليبية على طول الخط الساحلي فاقتضت بذلك سياسته اتباع مسلكين :

فأما الأول: فهو عقد الصلح والهدنة مع بعض الامارات الصليبية [1].

وأما الثاني : فتمثل في استخدام القوى العسكرية لإزاحة هذه الإمارات بشكل نهائي، وذلك لما كان لها من الخطر على الشرق الادنى فقد كانت لا تضيع أي فرصة للانقلاب، ولم يشهد المسلمون التزامهم بعهد ولا ميثاق، و هذا ما جعل بأسهم يخشى، فقد حاول لويس التاسع وبعض الباباوات من قبل التواصل مع المغول كمحاولة لتنصيرهم وكسبهم الى جانبهم فيسهل عليهم بذلك حصار المسلمين والقضاء عليهم [2] غير أن محاولتهم باءت بالفشل ، وهو على ما يبدو ما جعل بيبرس يتحين الوقت المناسب ليشن هجماته على قلاعهم محاولا بذلك الحد من نفوذهم.

[1]) بيبرس المنصوري ،المصدر السابق ، ص 67 ومُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ،ص120.

[2])جوزيف نسيم ،المرجع السابق ،ص 284 وعادل هلال، المرجع السابق ،ص ص(79-79) وجوانفيل ،المصدر السابق ،ص ص(218-219).

1) مرحلة المهادنة والهجمات العسكرية الأولى[1]:

كان أول ما بدأ به الملك الظاهر بعد نزوله جنوب فلسطين أن وقع الصلح مع يوحنا أبلين كونت يافا ويحنا الثاني حاكم بيروت وهذا من سنة (660هـ/1262م)،بحيث تم الاتفاق على عودة الوضع كما كان قائم أيام الملك الناصر، واطلاق أسرى المسلمين إلا أن الداوية [2]، والاستبارية[3]رفضوا التخلي عن أسرى المسلمين لما كان لهم من فائدة بتشغيلهم في الصناعة وذلك لما ملكوه من حرفة في أيدهم [4].

فنتج عن هذا التعنت أن قطعت المفاوضات وبدأت عملية الهجوم على الأملاك الصليبية فكان أول ما تم هدمه هو كنيسة الناصرة والتي قيل أن منها خرج دين النصرانية، ومنها الى عكا التي هدموا منها البرج الذي على خارج البلد وهذا في المحاولة الثانية لينسحب بيبرس بعد هذه المحاولة الى فلسطين[5] ومع أوائل سنة (661هـ-1263م)توحدت قوات الداوية والاسبتارية وشنتا غارتين على كل من حصن ليزون وعسقلان، وبناء على هذا الرد من الصليبين بدأ بيبرس بشن هجمات متتالية ومتعاقبة على قلاعهم [6]

---

[1])عزمي أبو عليان، **مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك(648-923هـ/1250-1517م)**، ط1، دار النفائس، الأردن، 1415هـ/1995م،ص29

[2]) الداوية :-فرسان المعبد- وعرفت في المصادر الأجنبية باسم Templiers Pauvers Soldats du Christ Les cheva liers de Templr نشأت بعد 20سنة من الاسبتارية أسسها كل من جفري دي سانت وهيودي باين وهي هيئة عسكرية هدفها الأساسي محاربة المسلمين وحراسة الحجاج وحماية معبد سليمان ،نبيلة ابراهيم مقامي، **فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرن 12و13**،ط1،مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ،مصر،1414هـ/1994م،ص ص(15-20/18).

[3])الاسبتارية :يعد جيرار أول رئيس لها قامت على أساس خدمت المرضى فأطلق على من انخرط فيها اسم Hospitaller غير أنها حادت عن المبدأ الذي قامت على أساسه فسرعان ما تحولت من هيئة خيرية الى عسكرية ذات نشاط حربي واسع ،نفسه ،ص ص(20/14/12).

[4]) مُحَمَّد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص ص(120-123)

[5])أبو الفدا المصدر السابق ، ج3، ص258؛ العليمي مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت1521/928م) ،**الأنس الخليل بتاريخ القدس الخليل** ،ط1، المطبعة الحيدرية ، د ب ن،1388 هـ/1968م، ج2،ص 86.

[6]) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ،ص 121.

2) مرحلة الفتح الشامل:

لقد كان أول ما ابتدأت به سلسلة هذه الفتوحات هو فتح قيسارية [1]،وذلك بعد ان ورد بالبريد أن احدى كتائب المغول متوجه نحو البيرة فجمع الملك الظاهر الجيش لتصدي لها، وقبل خروجه من فلسطين وصلت الأخبار أن القوات الاسلامية المرابطة في المنطقة تمكنت من صدها، فبناء على ما وصلته من أخبار، تغير الهدف وأصبح المقصد قيسارية التي تمكنوا من فتحها عنوة ومنها الى حيفا و عثليث التي اكتفوا بتخريب ابنيتها فأفلحت في المقاومة لكن القرية الواقعة خارج أسوارها أحرقت.

وقد تم من نفس السنة 663هـ/1265م فتح واحدة من القلاع المهمة لدى الصليبين وهي أرسوف[2] وهي قلعة حصينة استغرق فتحها ما يقارب الأربعين يوم[3] نظرا لمقاومة وتحصين فرسان الاسبتارية لها فقد كانت تضم 270 فارس، ويقول رانسيمان ستيفن في مسألة سقوطها أنه ألهم الشاعر ركوت بونوميل رثائها بقصيدة مريرة [4]،فيبدوا أنه كان لهذه القلعة مكانة في نفوس الصليبين.

لتنعكس بذلك سلسلة هذه الفتوحات الأولية على الصعيد الداخلي لمصر من خلال اقدام أهل الذمة من النصارى على احراق حي الباطلية[5]، والذي كانت وطأته شديدة على المسلمين كونه أتى

---

[1]) : بلد على ساحل بحر الشام بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج7،ص195.

[2]) :أرسوف وردت أرصوف وهي مدينة ساحلية تقع بين قيسارية ويافا، البغدادي، المصدر السابق، مج1،ص56.

[3])عزمي عبد الله أبو عليان ،المرجع السابق ،ص ص(33-37)؛ محمد سهيل طقوش ،المرجع السابق، ص 122؛ بيبرس المنصوري ،المصدر السابق ،ص96؛ ابن كثير عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الشافعي (747هـ/1373م)، **البداية والنهاية** ، اعتنى به حنان عبد المنان ؛ط1؛بيت الأفكار الدولية ،د ب ن ، د س ن، ص2062، رانسيمان، المرجع السابق، ج3، 372.

[4]) نفسه،ج3، ص ص(272-273).

[5])تعود تسمية هذا الحي الى عهد المعز لدين الله الفاطمي، ذلك أنه لما قسم العطاء في الناس فجاءت اليه طائفة فسألته العطاء ،فقيل فرغ المال، فقالوا رحنا في الباطل، فسموا بهذا الاسم واستمد الحي اسمه نسبة اليهم ،ابن بردى، المصدر السابق،ج4،ص46.

-في مسألة حريق الباطلية ذكر المؤرخون اليونيني المقريزي أنه أشيع أنهم هم من قاموا به -أهل الذمة- لتوجه الدلائل نحوهم وبناء عليها تم نسبته اليهم ولمعرفة المزيد حولة أنظر المقال لأن التفصيل فيه أكثر خارج اطار موضعنا.[5]) سند أحمد عبد الفتاح، **أوضاع النصارى في مصر زمن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وعلاقته بالراهيب بولص الحبيس**، جامعة عين شمس، مصر .

على الأخضر واليابس[1] و على نظام الوقف المملوكي (وقف المدينة المنورة وتربة الامام الشافعي) وهو ما يعني توقف استمرارية تلك الأوقاف وتعطلها اتجاه تلك الجهات، وما يدل عن مدى وقعه بقاء هذا الحي خربا ما يزيد عن قرن من الزمان[2] بل والأكثر من هذا أن غدى مضربا لتشبيه[3] والتمثيل فيذكر المقريزي عن هذا أنه أصبح يقال لشخص الذي يشرب الماء كثيراً وكأن في باطنه حريق الباطلية[4].

ونتائج هذا الحريق انعكست على المسلمين بخسائر مادية واقتصادية، كما انعكست على أهل الذمة بشكل أفظع، فذكر في هذا المبلغ اليونيني موقف بيبرس اتجاههم فقال: " وعزم على استئصال النصارى واليهود بسب الحريق وأمر بوضع الأحطاب والحَلْفاء في حفرة كانت في وسط القلعة، وأن تضرم فيها النار ويطرح فيها اليهود والنصارى فجمعوا على اختلاف طبقاتهم حتى لم يبقى إلا من هرب"[5] ، لكن لم يتم تنفيذ هذا القرار كون الأمراء قد شفعوا فيهم، وشروا أنفسهم بالمال، وضمن فيهم الراهب بولص[6] .ولعل المراد من هذا الحريق هو تخفيف الضغط على الصليبين في بلاد الشام وصرف نظر بيبرس الى مصر بإحداث القلاقل فيها[7]،الا أن هذا الفعل لم يكن ليثن صاحب الهدف عن هدفة بل زاده قوة واصرارا، ولعل ذلك يتضح في سقوط الامارات الصليبية في يد بيبرس بعد ذلك فلم يبقى منها إلا ما جمعه معها اتفاق أو صلح.

---

[1]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج2،ص25 والنويري،المصدرالسابق،ج30، ص73 والكتبي مُحَمَّد بن شاكر 764هـ/1363م، **فوات الوفيات والذيل عليها** ، تح احسان عباس، ط1،دار صادر، بيروت، د س ن، مج1، ص234.

[2]) سند أحمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 127.

[3]) المرادي أبي الفضل مُحَمَّد خليل بن علي(1206هـ/1792م)، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ط1، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ج3، ص182.

[4]) أحمد عبد الفتاح، المرجع السابق، ص128.

[5])اليونيني، المصدر السابق، ج2،ص321

[6]) ترهب بمصر و أقام بجبل حنوان، يقول عنه الذهبي أنه كان عجيب الحال لعنه الله، وذكرا عنه أشياء غريبة، قتل بفتوى من الفقهاء وذلك خوفا للافتتان به ، أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص 1250.

[7]) أحمد عبد الفتاح، المرجع السابق،ص130.

وفي سنة(644هـ-1266م) تعرضت حمص لهجوم خاطف من قبل بوهمند السادس أمير أنطاكية فعمل بيبرس على اثره بتحصينها، والسيطرة على القلاع الثلاث حلبا وعرقا والقليعات والتي تشكل خط دفاعي حامي لطرابلس من جهة الشمال والشمال الشرقي، لإشرافها على المنفذ الذي يوصل بين طرابلس وحمص فأصبح بذلك الطريق مفتوح أمام المسلمين[1] فجرد بيبرس على اثر هذا عددا من الأمراء على رأس قوات عسكرية للإغارة على بعض معاقل الصليبين والتي كانت متمركزة في الساحل الشامي وذلك على النحو التالي:

-الأمير علاء الدين والامير عز الدين أوغان الى صور.

-الأمير سيف الدين أتامش الى صيدا

-الأمير بدر الدين بسري المناطق القريبة من حصن القرين

-الأمير ناصر الدين القمري الى عثليث[2]

فقامت هذه الفرق بالقيام بمناورات عسكرية على هذه المناطق، لتبدأ من بعدها ومن نفس السنة عملية فتح القلاع الصليبية المهمة ذات النفوذ السياسي والاقتصادي عبر سلسلة من الفتوحات قام بيها الملك الظاهر بيبرس، استكمالا لما كان قد بدأ به من(663هـ-1265م)[3].

[1])محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق،ص80؛ ابن الوردي، المصدر السابق،ج2، ص211، أبو عليان، المرجع السابق،ص39، بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص104.

[2]) أبو عليان، المرجع السابق،ص39.

[3])أنظر ملحق رقم 3.

-نظر لأن سلسلة الفتحات تم تناقلها عند بعض الباحثين في الفترة الصليبية تم ذكر تلك الفتحات في جدول بحيث بينا القلاع المفتوحة والسنة التي تم فيها ذلك، وتم التركيز على استراتيجيات بيبرس والعوامل المساعدة في نجاح حملاته وهي مجموعة من النقاط توصلنا إليها مما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع.

3) أسباب وعوامل نجاح حملات بيبرس:

ان دراسة الحملات العسكرية والجهادية التي خاضها بيبرس أوقفتنا على مجموعة من النقاط التي ساهمت في بلوغ هذا التمكين، منها ما تعلق بمجموع الاستراتيجيات التي اتبعها بيبرس، ومنها ما تعلق بالصليبين بحد ذاتهم ،فكان من بين أسباب النصر والفتح التي بينتها سلسلة هذه الفتوحات:

-جمعه بين الأسلوب السياسي والعسكري وذلك بناء على الظروف التي أحاطت به، ففي المرحلة الأولى كان اعتماده على المهادنة، نظرا لعدم استتاب الوضع في بلاد الشام، وسوء الأوضاع الاقتصادية[1]، أما المرحلة الثانية فكان يعتمد على عقد الصلح مع إمارات دون أخرى للحيلولة دون اتفاقهم وتشكيل جبهة موحدة ضده[2]، فنراه بذلك يميل لصلح مع صاحب طرابلس ومهادنته لمدة عشر سنوات بعد قدوم ادوارد ولي عهد انجلترا على رأس حملة عسكرية مع ملك قبرص[3]، فمنع بذلك تشكل جبهة موحدة ضده.

-امتلاكه لمرجعية دينية كان لها الدور البارز في اثراء روح الجهاد، فسعى من خلالها لإبراز تعاليم الدين الاسلامي فقد عمل على اعادة احياء شعائر الاسلام في المناطق المفتوحة بتعين قضاة مسلمين وبناء المساجد[4].

-اتباعه لسياسة هدم القلاع المفتوحة –ليس جميعها ولكن جلها- ليضمن عدم مزاولتها لنشاطها القديم من جديد، وهو ما قام بيه ازاء قلعة يافا[5] و قلعة أرسوف التي شارك في تخريبها الأسرى

---

[1])عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس،ص60.

[2])نفسه، ص69.

[3]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق،ص383؛ أبو عليان، المرجع السابق، ص ص(62-63).
Colonel E .j . **king, the kntghts hospital era In The Holy Land** , London, Methuen Co Ltd,1931,p272.

[4])النويري، المصدر السابق،ج2،ص194.

[5])شافع بن علي ، المصدر السابق،ص257.

النصارى[1] وقلعة صفد التي تم هدمها ومن ثم اعاد بنائها واعمارها واعادتها من أيدى الكفار الى أيدى المسلمين وكتب على أسوراها[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [3] و كتب أيضاَ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

-عدم التهاون في الرد على من ينقض العهد ويخل به فنراه يعمل السيف في أهل صفد كونه أمنهم وعاهدهم على أن يخرجوا من القلعة دون سلاح ،فعمدوا على نقلها-أي الأسلحة- مع اصطحاب أسرى من المسلمين على أنهم نصارى، فكان جزائهم من جنس عملهم ،وقتل أهلها جميعا[5]،كما إن اقدام أهل قلعة كونك، بالهجوم المتكرر على التجار المسلمين على رغم من وجود معاهدة قائمة بين بيبرس وملك أرمينيا كان من أحد الأسباب التي جعلته يغير للمرة الثانية على أرمنيا[6] فأنهى دورها على الصعيدين السياسي والاقتصادي.

-عدم تبين الوجهة المعنية وتطبيقه لأسلوب الحصار الذي يضعف القلعة، بعزلها ومنع وصول الإمدادات وهو مكان في فتح الشقيف وأنطاكية، حيث عمدا للقضاء على القلاع القريبة من أنطاكية ومن ثم تقسيم الجيش الى ثلاث فرق، فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخزندار، وفرقة معها لأمير عز الدين إيغان ، وفرقة صحبة الركاب السلطاني، بحيث اتخذت كل فرقة مسلكا ليتوافوا أمام أنطاكية التي أحكموا عليها الحصار، فما لبثت بعد القتال الحاصل أن أعلنت استسلامها [7]،

[1]) رانسيمان، المرجع السابق، ج3، ص 243.

[2]) بيبرس المنصوري، المصدر السابق،ص109.

[3]) سورة الأنبياء الآية 105.

[4]) سورة الحشر، الآية 22.

[5])محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق،ص261 وأبو الفدا، المصدر السابق،ج4، ص8.

[6]) أبوا عليان، المرجع السابق، ص69.

[7]) النويري، المصدر السابق،ج30،ص ص(194-197/195) وبيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص 111 وشافع بن علي ، المصدر السابق، ص257.

وقد كان لهذه الأخيرة صدى ساهم في اضعاف باقي القلاع[1] كونها ثاني إمارة صليبية في المشرق فأضرت بالصليبين، كما أضرت بالمدن الايطالية، وانعكس سقوطها بالشكل الايجابي على المسلمين.

-الإستقرار السياسي فبعد أن استتب له الحكم بشكل فعلي لم تشهد فترة حكمه أي انقلاب عسكري ولعل ماساهم في هذا الاستقرار قوة القائد[2] التي ردعت من تسول له نفسه بذلك واهتمامه بتتبع أخبار البلاد من خلال نظام البريد، ووجود أمراء ذوي كفاءة شاركوا معه في عمليات الفتح .

-اتباعه لأسلوب المناورة ففي حين كان يحاصر طرابلس، وصلته أخبار عن نزول ادوارد وصاحب قبرص على عكا وأنهما يسعيان لتوحيد الصليبين في المشرق وتكوين حلف مع المغول، عمدا لإرسال حملة عسكرية من دمياط الى قبرص[3] يرأسها جمال الدين مكي بن حسون[4] غير أنها باءت بالفشل بسبب تحطم الأسطول البحري من جراء العاصفة[5]

-فشل حملة المساعدة القادمة من الغرب الأوربي جراء تحطم أسطولها البحري بسبب العاصفة [6]- في الحقيقة لم تكن هناك أي مساندة من الغرب الأوربي إلا هذه الحملة التي قادها أرغوان وحملة ادوارد الفاشلة -.

-الصراع الذي كان قائم بين البنادقة والجنويين ،حيث أنه لم تعد سفن البنادقة والجنويين تتلاقى في البحر دون قتال، فكان البنادقة يغيرون على الموانئ التي يرتادوها الجنويون ويحاصرونها ويشعلون بها

[1]) Stanley Lane-pool**, History of Egypt in the Middle ages** , London, Methuen,1901,p269.

[2])أنظر الفصل الأول تم ذكر ما تناقلاه مؤرخو ذلك العصر في مصادرهم عن بيبرس .

[3])جمال الدين الشيال، مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا،ط1،مكتبة الثقافة الدينية، الاسكندرية ،1420هـ/200م،ص40.

[4])من اسمه يتبين أن هذا القائد أصله أندلسي لأن اسمه في الأصل حسن أما مقطع الواو والنون في أخر اسمه فليس إلا مقطعا اسبانيا ،دلالة على التعظيم والتكبير، فكان بذلك لهذا المغربي دور في الجهاد ضد الصليبين في زمن بيبرس. مُحَمَّد عيساوي، **الدور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية بالمشرق الاسلامي بداية من الفاطميين الى نهاية الممالك**، دراسات تاريخية، ع6، د ت ن،ص164

[5])Stanley,op,cit,p269.

[6])king ,op, cit, p266.

الحرائق والعكس بالعكس، فكانت كراهيتهم لبعضهم أشد من كراهية المسلمين، فحال هذا الصراع دون اتفاقهم، حتى سنة (668هـ/1270م)اين وقعت الهدنة بين الطرفين فكان جني ثمار هذا الصلح قد فات أوانه، كون الإمارات المهمة قد وقعت في يد السلطان الظاهر، فحال بذلك هذا الصراع دون اتفاقهم[1]

لتبين بذلك هذه الاستراتيجيات والعوامل عن سلسلة من الفتوحات التي مهدت لعملية التصفية الصلبية في المنطقة، فكان من أهم نتائج هذه الفتوحات استعادة امارة أنطاكية التي يمثل استلاء الصليبين عليها ظهور أول وجود صليبي في بلاد الشام فيعنى استردادها نهاية الاحتلال الصليبي لشمال الشام غير أن أهميتها التجارية لم تعد كسالف زمانها فأصبحت مجرد قلعة حدودية لم يهتم المسلمين بإعادة اعمارها[2] واتباعه لأسلوب المهادنة هو ما كفل بقاء جزء من الامارات الصليبية مثل عكا التي ضمنت بقاء السهل الساحلي الممتد منها الى صيدا وكفلت المهادنة بقاء طرابلس وبعض الأقطار الصليبية [3].

ولا يمكن انكار أن حال الصليبين في بلاد المشرق أنداك ساهم كثيرا في نجاح هذه الفتوحات، فلم يلتمس بذلك أي رد فعل حقيقي من الصليبين سوى ما كان في قلعة أرسوف وصفد وأنطاكية والتي اعتمدت على اسلوب الدفاع أكثر من الهجوم، فكانت بذلك أوضاع الصليبين من العوامل التي ساهمت في نجاح بيبرس القائد الذكي الحذق الذي عرف كيفية استغلال الوضع والوقت لشن هجماته، فأبانت استراتيجيته عن استراتيجية القائد السياسي العسكري بامتياز.

---

[1]) هايد.ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، تر أحمد محمد رضا،ط1، الهيئة المصرية العامة،مصر،1985م،ج1، ص ص(355/357-358)

king,op,cit,p262.

[2]) هايد.ف، المرجع السابق، ص245. وحسين محمد عطية، **امارة أنطاكية الصليبية والمسلمون(567-666هـ/1171-1268م)**، ط1،المعرفة العلمية، د ب ن ،1409هـ/ 1989م، ص 475.

[3]) السيد الباز العريني، المغول،ط1، دار النهضة العربية، بيروت،1401هـ/1981م، ص 296

المبحث الثاني: الجهاد ضد مغول الدولة الايلخانية:

1) التحالف بين الصليبين والأرمن مع مغول الدولة الايلخانية :

كان من نتائج معركة عين جالوت أن بدأ التقارب بين المغول والغرب الأوربي، حيث كان هذه المرة بمبادرة من المغول الإيلخانين، ففي سنة 660هـ/1262م أرسل هولاكو سفارة الى البابا وملوك الغرب الأوربي يذكر فيها وجوب خضوعهم للمغول وطلب فيها من الملك الفرنسي لويس محاولة اقناع القوات اللاتينية في سوريا أن تستعد فإذا هاجم المسلمين من جهته لا يجدون مكانا يتراجعون اليه و أشار فيها أنه اذا لم تتم المساعدة فإن مصيره سيكون مثل سابقيه، وأعلمه فيها بحال المسحين في الدولة الايلخانية، وعن المكانة التي حضوا بها ، و أنه اذا تم هذا الاتفاق فمدينة بيت المقدس ستكون من نصيب البابوية[1]، ليتمثل رد البابا عن هذه السفارة بإبداء سعادته، ظنا منه أن هولاكو يرغب في التعميد، فبين له ما سوف يحصل عليه من نصرٍ و تمكين إذا تم هذا التعميد فِعلاً، فحاول بذلك استمالته لتنصيره وهو ما حاولت الكنيسة القيام بيه سابقا، وما بينته مضامين سفارتهم الى المغول، ووصل هذا الجواب كان في أخر حياة هولاكو فلم يتلقى جوبا على اثره[2]، ولم يرقى لشيء.

يفهم من مضمون رسالة هولاكو أنه خص لويس لعلمه المسبق عن محاولته التواصل مع المغول لتعاون ضد المسلمين[3] إلا أن محاولته باءت بالفشل، فلم تحظى بنجاح الذي حظيت به سفارة مملكة أرمنيا الصغرى وأنطاكية والذي بموجبه استرد هيثوم ما انتزعه سلاجقة آسيا الصغرى، واسترجع بوهمند السادس ما استرده صلاح الدين من بلاد وحصون تابعة لأنطاكية[4].

---

[1]) وجهت هذه السفارة الى الغرب الأوربي إلا أنها لم تصل وجهتها المعنية كون ملك صقلية وحليفه شارل أنجوا قبضوا على أفرادها وتمت مصادرة الوثائق التي تحملها ، إلا أن مضمون بعض هذه الوثائق استطاع الوصول الى البابا أوربان الرابع ومن ضمن هذه الوثائق كان الملك المذكور اسم لويس. عادل هلال، المرجع السابق، ص ص(107-108).

[2])عادل هلال، المرجع السابق، ص ص(109/107).

[3]) نفسه، ص 108.

[4]) السيد الباز العريني، المغول، ص245.

ان التقارب الذي حدث أنداك بين المغول وأنطاكية، لم يعجب الكنيسة، فقد أصدر بحقه قرار الحرمان الكنسي، بعد تعين البطريق ايثميوس وهو بطريرك أنطاكية الذي طرده بوهمند سابقا[1].

وحقيقة أن لجوء هولاكو الى قرار التعاون مع الغرب الأوربي، كان نتيجة للهزيمة التي حلت بهم، ونتيجة لظروف الداخلية للإمبراطورية المغولية فصراع بين أخوية قوبلاي[2] وأريق بوقا[3] شق القوى المغولية الى نصفين [4]، ولعل من أحد الأسباب التي ربما شجعته على ذلك التواصل بطريقة غير مباشرة هي زوجته دقوزخاتون[5]، كونها تدين بالديانة المسحية النسطورية فقد حظيت بمكانة خاصة انعكست على المسحيين بالشكل الايجابي بل والأكثر من هذا أن عد عصر هولاكو العصر الذهبي لهم، وعبر عن هذا المؤرخ السيد الباز العريني وعن تلك النظرة التي نظرها المسيحون لهولاوكو ودقوزخاتون فيقول أنهم كانوا لهم بمكانة قسطنطين وهيلينا الشرق[6] ، فيفهم من هذا التعاون أن المغول رأوا في الغرب الأوربي حليفا مناسبا لهم، وذلك لأن الهدف مشترك.

وفي عهد أبغا زادت الحاجة الى هذا التعاون فنهج مسلك أبيه، كون الصراع مع المغول الجغطائين

---

[1]) السيد الباز العريني، المغول، ص245. وحسين مُحَمَّد عطية، المرجع السابق، ص419.

[2]) قوبلاي: الابن الرابع لتولوي من سيورقوقتيتي ، فاتح ممالك الخطا والبلاد الشرقية دامت مدة حكمة خمسة وثلاثون سنة كانت وفاته في عام الحصان(693هـ/1293-1294م) وعمره ثلاثة وثمانون سنة، الهمذاني رشيد الدين فضل الله، **جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قان الى تيمور قآن)**، تح فؤاد عبد المعطي الصياد و يحي الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت، د ت ن، ص ص(237/243/298).

[3]) أريق بوقا: الأخ السادس لكل من قوبلاي و هولاكو من أمه و أبيه كانت وفاته عام الفهد (664هـ/1265-1266م) كان المبادر في الصراع الحاصل وذلك بأن أبدى رغبته في أن يكون خانا للمغول، المرجع السابق،ص262.

[4]) عادل هلال، المرجع السابق، ص101.

[5]) دقوز خاتون: ابنة ايقو بن أونك خان كانت زوجة لأبيه من قبائل الكَرَايتْ المسحية فهي بذلك من نفس قبيلة أمه ،عرفت بمؤازرتها للمسحين تميزت وعرف عنها الحكمة والسياسة ، ولعل ما يبين هذا ما جاءت بيه وصيت منكوا قان لهولاكو "وشاور دقوز خاتون في جميع القضايا والشؤون" الهذاني، تاريخ الايلخانيون ،ص ص(220-237) والجابري سلام علي مزعل وأخرون،**زوجة هولاكو المقربة دقوز خاتون ودورها في حملة المغول الثانية على المشرق الاسلامي**، مجلة آداب ذي قار، ع19،2016 م، ص57.

[6]) السيد الباز العريني، المغول، ص 276.

–مغول تركستان–قد انفجر والصراع مع مغول الشمال لم يحسم بعد[1] فأضحى أبغا لا يأمن على حدوده الغربية فنراه بذلك تارة يسعى لمحاولة التعاون مع الصليبين، وتارة يميل لصلح مع بيبرس، وفي اطار محاولة تقوية الصلة مع الصليبين فقد تزوج من ابنة صاحب القسطنطينية ماريا[2]، وعلى أساس هذه العلاقة حاول اشراكه في صراعه مع المماليك.

ومن مظاهر التعاون بين المغول وابغا السفارات والمراسلات التي جمعته مع كل من البابا كلمنت الرابع وجريجوري العاشر ونيقولا الثالث[3]، فكان في مجملها مصيرها كسابقتها، بل حتى التي نجح فيها هذا التحالف وارتقى لإرسال حملة عسكرية انتهى بالفشل. فحملة لويس غيرت من مسارها واتجهت نحو تونس، وجيمي الأول انتهت محاولته بتحطم أسطوله في عرض البحر، وادوارد كان له بيبرس بالمرصاد على الرغم من أنه استطاع بلوغ عكا.

ويعلق المؤرخ الإنجليزي powicke عن حملة ادوارد فقال أنها لم تكن مؤهلة لاسترداد مدينة بيت المقدس ولو كان أبغا حرا من خطر الجغطائين وانضم لحملة ادوارد فإن اللاتين كانوا من الضعف والانقسام بالدرجة التي تجعلهم لايستفدون من هذا التحالف إلا بجعلهم خاضعين لحكم المغول[4].

وحقيقةً أن هذا التعاون لم يكن لينجح فوضع الدولة الايلخانية كان سيء والغرب الأوربي كان أسوء كونه افتقر للقوة والقيادة الموحدة وهذا ما أكده هلال عادل، والأهم من هذا وذاك أن كلا الطرفين سعى كل منهما لسيطرة على الأخر فبين كل منهما أنه في محل القوة والطرف الأخر محل ضعف وهو ما يتبين من المراسلات، فنهج أسلوب السيطرة كان حتما سيؤدي الى فك عرى هذا التحالف فبقيت هذه المراسلات مجرد حبر على ورق زمن السلطان الظاهر.

[1]) عادل هلال، المرجع السابق، ص 109.

[2]) ابن العبري، المصدر السابق، ص 497.

[3]) مُحَمَّد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 103.

–في مسألة التحالف ضد دولة المماليك ذكر المؤرخ العريني أنها تعود الى سنة 665هـ/1267م وأن المبادر هو البابا كلمنت الرابع وذكر عادل هلال أنها تعود الى 664هـ/1266م وان المبادر هو ابغا، وهذا نظرا لاعتبار العريني جواب رسالة ابغا بداية التواصل

[4]) عادل هلال ، المرجع السابق، ص 113.

وأما عن محاولات الصلح، إرساله الى الملك الظاهر رسالة تحمل التهديد و الوعيد وهذا في اطار طلب الصلح، فمما جاء فيها أنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلصت منا فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحاَ أنت مملوك وأبعت بسيوس كيف تشاقق الملوك ملوك الأرض[1].

فيعلق في هذا المؤرخ الكاتب عبد الفتاح عاشور بقوله أنه عنى بهذه الرسالة الحط من قيمة بيبرس بتذكره بأصله وبعبوديته[2] وهذا المعنى بدا وضحا من أسلوبه في الرسالة.

وتمثل رد بيبرس بما هو أبلغ فقال اعلم اني ورائك بالمطالبة، ولا أزال أنتزع من يديك جميع البلاد التي استحوذت عليها من بلاد الخليفة وسائر الأقطار[3]، فبين بهذا أنه لا سبيل لتعاون مع مغول الدولة الايلخانية وهذه الفكرة تبناها منذ الوهلة الأولى، حيث أعمل السيف في كل من تحالف مع المغول الايلخانين بديتا، بالأرمن الذين وجه اليهم أولى الضربات في(666هـ/1268م) والتي على اثرها اصطدم الجيشان فتمكن المسلمون من دخول مدينة سيس[4] واحراقها، وتدمير ميناء اياس وأسر ليون ابن الملك هيثوم[5]، ومنها الى أنطاكية التي ما ان دانت له، حتى سلم ليون لأبيه الذي اعتزل الحياة السياسية بعد هذه الحادثة[6].

ويعلل ما قام به بيبرس عادل هلال فيقول: إن أسر ابن الملك هيثوم كان بغرض منع هذا الأخير من

---

[1]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2 ،ص56.

[2]) عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص97.

[3]) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ، ص137.

-على خلاف هذه الرسالة كانت هناك رسالتين عمدا ابغا لإرسالها الى الملك الظاهر لمحاولة الصلح، غير أنه لم يغير الى حد ما من أسلوبه فيهما، وبدا موقف بيبرس واضحا في جوابه ولم يتغير فلم يولي أي اهتمام لتلك المراسلات التي سعى صاحب سيس الي التوسط فيها، لمعرفة المزيد حول نص تلك الرسائل أنظر محي الدين ابن عبد الظاهر.

[4]) سيس: سيسة وعامة أهلها يقلون سيس بين أنطاكية وطرسوس وهي عاصمة ارمنيا الصغرى واحدى الثغور، اتخذها روبن مؤسس الدولة، وقد كانت سيسة فلافيوبولسflaviopolis . القديمة حصن عين زربي البعيد في صدر الدولة العباسية ، وقد نوه أبو الفدا بأن ليون الثاني قد أحدثها، لسترنج، المرجع السابق،ص173.

[5]) مُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ، ص 135 وابن خلدون، المصدر السابق، ص 1458.

[6]) بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص 115 ومحي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق،329 والسيد الباز العريني، المغول، ص289

التدخل في فتح أنطاكية ومساندة حليفه، وبسقوط أنطاكية انقطعت الصلاة بين الصليبين في طرابلس وعكا ومع الأرمن[1].وفي سنة (673هـ/1273م)، وجه بيبرس الضربة القاضية لهذه الامارة فلم تنهض بعدها من كبوتها، وبسقوط كل من أرمنيا الصغرى وأنطاكية يكون بيبرس قد وجه ضربة قاصمة لتحالف المغولي الأرمني والصليبي بشكل نهائي[2]،ويكون بهذا أعاد شمال الشام الى حوزة المسلمين[3].

2معركة حمص الأولى:

بعد أن بلغ التتار خبر مقتل قطز وأن هناك حركة انفصالية بدأت في الظهور[4] وجدو في هذا الأوضاع فرصة سانحة للانتقام لما حل بقائدهم كتبغا ولمحاولة محوا وصمة العار التي لحقت بهم بعد معركة عين جالوت، فحشد المغول قواتهم الي البيرة[5] التي كانوا قبل ذلك قد هدموا أسوارها وأبراجها فأضحت مدينة مكشوفة ،فعمد سعيد الدين لؤلؤ إلى محاولات إرسال إمدادات لهذه المدينة غير أنها لم تجدي نفعا أمام الجموع المغولية وتراجعت الى داخل المدينة ،وأرسل أهلها الى الملك السعيد يعلمونه بتفاقم خطر المغول وأنهم اتجهوا الى منبج، وعقدوا العزم على مهاجمة حلب التي دخلوها في سنة 658هـ/1260م بقيادة بيدار فأعملوا السيف في أهلها، واضطر حاكم حلب الجديد حسام الدين الجوكندار الى التراجع محاولا استدراج المغول إلى مكان أفضل لمنازلتهم فتراجع الى حماة ، ثم زحف المغول بعد ذلك الى حماه فتقهقر عنها صاحبها الملك المنصور الثاني إلى حمص متظاهر بالضعف

---

[1]) عادل هلال، المرجع السابق، ص 112.

[2]) المرجع السابق، ص 113 ومُحَمَّد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ، ص 136.

[3]) حسين مُحَمَّد عطية، المرجع السابق، ص 475.

[4]) تمثلت هذه الحركة في حركة سنقر الحلبي الذي كان قطز قد عينه نائبا عنه في دمشق فبعد وفاة هذا الأخير نادى بالسلطة لنفسه ولقب بالملك المجاهد وخطب له بدمشق ،الذهبي (ت748-1347م)، **العبر في خبر من غبر**، تح أبو هاجر مُحَمَّد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1405هـ/1985م، ج3، ص288.

[5]) البيرة: قلعة على الجبل تشرف على الفرات تسلمها ببرس في 660هـ/1262م لهما ما يلي الفرات حائط ممتد وما يلي البرسور و أبرجة ، ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء مصر والجزيرة، تح يحي عبادة، منشورات دار الثقافة و الارشاد القومي، دمشق، 1978م، قسم 1، ج3، ص ص 120-123.

أمامهم وذلك لمحاولة حشد أكبر عدد ممكن من الجيوش الاسلامية فوصله بحمص الملك المنصور صاحب حماة ومعه أخوه الأفضل والملك الأشرف موسى[1]، فبلغ عدد الجيش الاسلامي آنذاك أربعة آلاف أما القوات المغولية فقد بلغت ستة ألاف، وعل الرغم من التفوق العددي للمغول إلا أنهم مونيو بالقرب من الرسن[2] بهزيمة منكرة وراح فيها الجيش المغولي بين قتيلا و أسير[3]

3) معركة أبلستين–البستان–[4]

شهدت الدولة المملوكية بعد معركة حمص الأولى مجموعة من الغارات التي شنها المغول على حدودها، فمن بين هذه المناطق التي أغاروا عليها البيرة،[5]ساجور، عينتاب وعمق حارم، ومدينة الرحبة[6] لكنها لم تحقق أي شيء، كون هذه الغارات في مجملها جاءت سريعة ومبتورة تنقصها قوة الاندفاع الكبيرة التي تميزت بها حملاتهم السابقة[7]،

ضف الى ذلك أن القوات المملوكية المرابطة في المناطق الحدودية وقفت سدا منيعا ضدها ولصدها ومنع اقترابها تم ضرب الطرق والوديان المؤدية الى الشام [8].

---

[1]) جليلة حسن مُحَّد أحمد، **العلاقات بين المماليك وايلخانية مغول فارس و أثرها على مصر وبلاد الشام 648-741هـ/1250-1341م**، أطروحة دكتورا فلسفة التاريخ، كلية الدراسات والبحث العلمي، جامعة شندي السودان، 1440هـ/208م، ص 122 والتي بعدها

[2] – بفتح أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق و أخر نون، بليدة قديمة كانت على نهر الميماس وهو يعرف اليوم بالعاصي الذي يمر قدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق، ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج3، ص 43.

[3]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص 265.

[4])أبلستين: عرفت بعدئذ بالبستانArabissus (وعربسوس اليونانيةAblastha وهي ابلستا البزنطية Arabissus) شرق قيصرية مدينة لا كبيرة ولا صغيرة كانت احدى مدن الثغور أيام الروم ذات مباني جميلة وهي قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف ، القزويني، المصدر السابق، ص ص(178- 179) وياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 75 وانظر لسترنج، المرجع السابق، ص ص(156-157/175/179).

[5]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص 223، ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 1475.

[6]) مُحَّد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والايلخانين، ص ص

[7]) سعاد الطائي، المرجع السابق، ص 255.

[8]) مُحَّد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 101.

حيث في سنة (671هـ1273م)، حدث أن أغار الجيش المغولي السلجوقي على البيرة لمحاولة الاستيلاء عليها إلا أنها استعصت عليهم، بسبب الظروف المناخية القاسية –تساقط الثلوج– فسرعان ما فكوا عنها هذا الحصار وفككوا معداتهم وأحرقوها خشية أن تقع في أيادي المماليك، وعلى اثره وفي اثناء عودتهم الى بلاد الروم اصطدمت مؤخرة الجيش المغولي بالقوات المملوكية التي كانت تحت قيادة بيبرس فلم ينجوا منهم إلا القليل ، وتم أسر مئتي جندي مغولي[1].

كانت هذه الغارة باشتراك ومساندة مع سلاجقة الروم ، كون هذه الامارة خاضعة لنفوذ المغولي فتارتا كانت امارة سلاجقة الروم تحارب في صفوف المغول وتارة تستنجد بالمماليك لتحررهم من هذه السيطرة، فوصل الأمر أن عرض برواناه على بيبرس الاستعانة بهم ضد المغول مقابل تقديم الولاء له واعترافه باستقلال البلاد وبسلطة كيخسرو الثالث، رحب بيبرس بهذه الفكرة إلا أنه لم يكن مستعد للقيام بمغامرة عسكرية غير مضمونة [2]،كون كلمة بيت سلاجقة الروم كانت متفرقة

حتى سنة (674هـ/1276م) أين أضحى بإمكان بيبرس أن ينفذا مشروعة بضم بلاد الروم كون الأوضاع السياسية بها ما تزال على حالها، فبتوجه هذه القوات الى بلاد سلاجقة الروم رصدها الأرمن في قليقيا فأرسل ليون الثالث وراء أباقا ،فعمل برواناه على تكذبها، ولكن سرعان ما وصل الخبر لأبغا ، فتحركت القوات المغولية السلجوقية المشتركة ونزلت بالبستان–تم عزل عسكر الروم عن هذه المعركة لتخوف المغول منهم–، ووصل ورائها الجيش المملوكي، أين دارت أحداث هذه المعركة في (675هـ1277م) والتي أسفرت عن انهزام المغول وقتل عدد الكبير منهم[3].[4]

[1]) محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول والايلخانين العظام، ص ص(213- 214).وابن شداد، المصدر السابق،ج21،ص ص 55-56 وابن خلدون، المصدر السابق، ص 1460

[2]) محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والايلخانين، ص216.

[3]) المرجع السابق ،ص 218-219 ومحمود شاكر الكتبي(764هـ/ 1363م)، عيون التاريخ ، تح نبيلة عبد المنعم داود وفيصل السامر،ط1، دائرة الشؤون الثقافية ، العراق، 1404هـ/1984م، ج21، ص ص(100-101).

[4] -أنظر الملحق،5

ليجلس بيبرس بعد هذه المعركة على عرش سلاجقة الروم وضربت السكة باسمه، فسعى بعد هذا لتحقيق ما تم الاتفاق عليه مع برواناه بتسليمه البلاد غير أن هذا الأخير كان يخطط لخلاف هذا فأرسل وراء أبغا ليحاول اعادة الأمور الى نصابها ، فيوقع بين الطرفين[1] وتخلو الساحة لسلاجقة الروم، ولم يكتمل هذا المخطط بعودة ببيرس أدراجه وذلك لأن الدخول في معركة جديدة حتما ستكون غير متكافئة ووابلاً عليه وعلى جيشة المنهك[2].

ووصل المغول بعد رحيله وهذه المرة بقيادة القائد المغولي كتبغا الذي رأى بأم عينه ماحل بجيشة، ومن بعد معاينته تأكد أنه خدع من قبل برواناه فأرده قتيلاً ونفس فيه عن غضبه وفي أهلها فذكر ابن كثير أنه قتل منهم قرابة مائتي ألف نفس[3].

ومن خلال ما تناقلته الكتب والمؤرخون حول هذه الفترة الزمنية يمكن القول أن معركة حمص الأولى هي أول لقاء عسكري و أن معركة أبلستين هي أخر لقاء عسكري التقا فيه الطرفان وجه لوجه حيث كانت المواجهة الثانية بقيادة بيبرس البندقداري نفسه .

[1]) الكتبي، المصدر السابق،ج21، ص ص(104-105).

[2]) محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام و الايلخانين، ص219.

[3]) ابن كثير، المصدر السابق، ص 2074.

المبحث الثالث: ضم بلاد النوبة:

قامت العلاقة مع بلاد النوبة في البداية على أساس الجوار وعلى أساس الكنيسة، فقد كانت كسابقتها بلاد الحبشة المسحية، تكن الولاء للكنيسة المرقصية، فبناء على هذه التبعية كان يتم تعين مطران بلاد النوبة من قبل بطريك الاسكندرية ، ومنذ ولاية عبد الله بن أبي السرح التزمت بلاد النوبة بأداء البقط –وهو العهد- حيث تضمن أن تؤدي بلاد النوبة كل سنة عدد من الرقيق يساوي عدد أيام السنة ، وفي المقابل يتم امدادهم بالحبوب والأقمشة، فيكون بذلك للبقط مفهوم مخالف للجزية [1]وهو ما ذكره ابن خرداذبة " البقط ليس بجزية ولا خراج"[2] بل هو نوع من التفاهم الاقتصادي مبني

على تحقيق منفعة مشتركة لكلا الطرفان[3]، فكانت العلاقة بين الطرفان هادئة لا يشبوها أي توتر حتى أقدم ملك النوبة على شن غارات استهدفت الثغور الاقتصادية الأساسية لدولة المماليك من الناحية الجنوبية فشكلت بذلك خطرا على التجارة المصرية ، كون هذا الطريق أصبح شريان اقتصاد المماليك.

ونظرا لانشغال بيبرس بالمغول والصليبين لم يتمكن من رد الغارة التي نهبت وأسرت وحرقت وقتلت التجار إلا في سنة 674هـ/1276م، حيث كان قد جاءه ملك النوبة المخلوع شكندة يطلب منه اعادة تمكينه في البلاد فتم ارسال حملة مزودة بخيرة المقاتلين، فلاقت هذه الحملة نجاحا كبير فوقع الجيش بين أسير وقتيل ، ومن هولها فر الملك داود بنفسه ،وتم تعين شكندة في الملك مكانه[4] وقبل عودة الجنود بعد انهاء المعركة تم الاتفاق على مجموعة من النقاط منها:

---

[1]) عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص ص 116-117

[2]) ابن خرداذبة أبي القاسم عبد الله بن عبد الله ، المسالك والمماليك، ط1،مطبعة بريل ، لندن، 1881م، هامش ص 92.

[3]) عبد الفتاح عاشور، الظاهر بيبرس، ص 117.

[4]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 95 وعبد الفتاح عاشور الملك الظاهر، ص ص(119-120) وابن شداد، المصدر السابق،ج21، ص 129.

-أن تدفع قطيعة سنوية تؤديها، و جزية سنوية تقدر بدينار لكل فرد بالغ عاقل وتم لهذا الغرض انشاء ديوان خاص ويرسل المماليك [1].

-أن تكون البلاد مشاطرة ، وأن يأخذ بيبرس البلاد العليا بلاد الجبل لقربها من أسوان[2].

-أن تتم مصادرة أملاك الملك السابق وترسل الى مصر.

- اطلاق أسرى أهل عيذاب و أسوان[3].

وبهذا تم القضاء على اداورد الذي وقع في نهاية المطاف أسيرا لدى الملك الظاهر فسجن حتى مات ومن ثم أمنت مصر من الناحية الجنوبية وأمنت سبل التجار وأضحت بلاد النوبة تؤدي الجزية لبلاد المسلمين.

[1]) الكتبي، عيون التاريخ،ج21، ص 73 و بيبرس المنصوري ، المصدر السابق، ص 139.

[2]) المرجع السابق، ص 139.

[3]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 95.

المبحث الرابع: علاقته مع الحشاشين:

فرقة ثورية اتخذت من الاغتيال أسلوب وطريقة في التخلص من معارضها، ومن القلاع على سفوح الجبال معاقلا لهم، تنسب الى الشيعة الاسماعلية الذين ساقوا الامامة الى جعفر الصادق ، تحديدا الى الاسماعلية النزارية، فقد انقسمت الاسماعلية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر (487هـ/1095م) الى فرقتين ، فرقة أولت طاعتها ل أحمد الملقب بالمستعلي ونسبت الى فسموا بالمستعلية، الباقية الي اليوم والمعروفة باسم البهرة.، والفرقة الثانية هي التي أولت الخلافة لنزار فهم يرون أن أباه عهد اليه بولاية العهد، وكان من المؤيدين وصاحب الدعوة لهذا الأمر الحسن الصباح[1] الذي نقلها من مصر الى آلموت [2]بعد أن فقد نزار أحقية الخلافة وتم القضاء عليه وبهذا تأسست الاسماعلية النزارية[3]، والتي ماتزال باقية الى اليوم والمعروفة باسم الأغاخانية، أتباع أغاخان، أو الخوجات[4].

أطلق على هذه الفرقة على غرار هذا اسم أسماء أخرى فذكرهم الشهرستاني بالباطنية لقولهم أن لكل ظاهر باطن، وبالملاحدة لأن مذهبهم كله الحاد[5] ، وذكرهم القلقشندي بالفدائة لأنهم يفدون بالمال على من يقتلونه وهم يسمون أنفسهم بأصحاب الدعوة الهادية[6].

---

[1]) الحسن الصباح: هو الحسن بن على بن مُحَمَّد بن جعفر بن الحسين بن مُحَمَّد الصباح الحميري من قبيلة حمير، ولد بالري كان على مذهب الشيعة الاثنا عشرية ومن ثم انتقل الى المذهب الباطني وانتقل على اثرها لمصر أنظر :جهانكشاي، المصدر السابق، مج3، ص171.

[2]) ألموت: قلعة حصينة من ناحية روزذبار بين قزوين و بحر الخزر على الجبل و هي كرسي حكم الاسماعلية النزارية بناها أحد ملوك الديلم حين أرسل عقابا لصيد فتعقبه فأعجب بالموقع فأختاره لبناء قلعته التي أطلق عليها اسم ألموت أي تعليم العقاب بالسان الديلم، القزويني، المصدر السابق، ص301.

[3]) مُحَمَّد قاوي، السنة والشيعة بين التفاهم والتصادم في العصر البويهي خلال يوم عاشوراء–دراسة تاريخية أنثروبولوجية –، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج17، ع1،1442هـ/2020م ،ص514.

[4]) طه أحمد شرف، دولة النزارية أجداد أغاخان(كما أسسها الحسن الصباح زعيم الاسماعلية في فارس)، ط1،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1369هـ/1950م، ص9

[5]) الشهرستاني ابي الفتح مُحَمَّد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد(548/1154م)الملل والنحل، تح عبد الأمين علي مهنا وعلي حسن، ط 3،دار المعرفة، لبنان، 1414هـ/1993م، ص229.

[6]) القلقشندي، المصدر السابق، ج1،ص 120.

والمصطلح المشاع عند المؤرخين المحدثين هو الحشاشين ، وقد تباينت الأراء حول ما يعنه هذا المصطلح على وجه التدقيق، فيشير أحمد طه شرف الى أن الحشيشة مصطلح لم يطلق إلا على الاسماعلية النزراية التي كانت في بلاد الشام وأطلق هذا المصطلح زمن مؤسسها.[1]

ان انتقال الدعوة الاسماعلية الى بلاد الشام مكنهم من ضم مجموعة من القلاع منها قلعة الكهف وقلعة الخوابي والمنقة والعليقة والقدموس والرصافة [2]والتي منها واصلو في بث الرعب والخوف في الأوساط، فلم يعرف لهم توجه محدد فتارة كانت علاقاتهم عدائية مع المسلمين والصليبين وتارة سلمية مع طرف دون أخر ، فلم يسلم كلا الطرفان من خناجرهم التي لا ماست أسماء قادة كبار'

وما يهمنا بعد هذا العرض الموجز عن هذه الطائفة هو دور السلطان الظاهر في محاولة السيطرة على نشاط هذه الحركة والقضاء على نفوذها السياسي، فيذكر عن هذا اليونيني أنه في بداية حكم السلطان بيبرس وقبل أن تستتب له السلطة بشكلها الفعلي أرسل اليه صاحب قلاع الاسماعلية، رضي الدين أبي المعالي ونجم الدين اسماعيل ابن الشعراني رسالة يطالبه فيها بإعادة الاقطاعات التي كانت لهم زمن الدولة الناصرية فتم له ذلك، وهنا استخدم بيبرس ذكائه وحيلته، فقال لقد بلغني أن الرضا قد مات ورأيت أن أولية مكانه فكتب له في ذلك توقيعا بالنيابة، فلما توجه المذكور وجد الرضى حي فكتم الأمر، ولم يلبث إلا عشرة أيام حتى مات، فولي مكانه ، ولم يرضى بهذه التولية فريق من الاسماعلية فقتلوه فنقمها لهم بيبرس[3] .

ومسألة قتله بيان على أن هذه الفرقة ماتزال ذات كيان سياسي فلم ترضى بما قرره بيبرس ووجود سلطة ذات كيان سياسي مستقل ضمن اطار حدود الدولة الاسلامية قد يولد من المشاكل ما يزعزع الاستقرار ويفكك الوحدة التي تؤثر بدورها على السلطة الحاكمة وهو ما تفطن له الملك الظاهر منذ بداية حكمه فسعى لسيطرة على قلاعهم لتقليل من نفوذهم.

[1]) طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص178.

[2]) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج2،ص 65.

[3]) اليونيني ، المصدر السابق، ج2، ص114.

ففي سنة 664هـ/1266م، جاء رسول الاسبتارية الى الظاهر بيبرس وطلب منه الصلح فكان من ضمن الشروط المبرمة تخلي الاسبتارية عما كانوا يأخذونه من الاسماعلية من أموال[1]، وصارت تدفع الى بيبرس في السنة الموالية، فصارا الحشاشون يحملونه لبيت مال المسلمين لينفق على الجهاد وقد نقل المقريزي ما ذكرو لما وصلت رسلهم فقالوا "هذا المال كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملنه لبيت مال المسلمين[2]، ويعلق عن هذا فيقول "صارت الاسماعلية تؤدي المال بعدما كانوا يجبون من ملوك الأرض القطائع "[3]، وسرعان ما طلبوا منه انقاص هذه القطائع التي كانوا يؤدونها، وكان السلطان أنذاك قد غضب على صاحب العليقة فتوسط صاحب صهيون لإصلاح العلاقة بينهما وبإصلاحها قلده السلطان بلاد الدعوة، فأمتنع عنه أهل مصياف فسير لهم السلطان عن موقفهم هذا العساكر فسلموا القلعة في 668هـ/1270م[4]. ومن بعده تسلم حصن العليقة في السنة الموالية[5] وبعث بأهلها الى مصر وسلم القلعة الى نوابه[6]، وذكر ابن كثير عن هذه السنة أنها كانت السنة التي أخذا فيها ببيرس عامة قلاعهم[7]، واستخدم رجالها[8].

فاستخدم بيبرس احد رجال هذه الطائفة في محاولة اغتيال ادوارد بعد ابدائه رغبته في العودة الى الشرق والقيام بحملة كبيرة ضد المسلمين [9]فكان طعنه من قبل الفدائي سببا مباشرا في عودته الى وطنه

[1]) يقول جوينفيل ان شيخ الجبل كان يدفع الاتاوة لفرسان المعبد وفرسان الاسبتارية لأنهم لم يكونو يخافون شيئا من الحشاشين أذا ان شيخ الجبل لم يكن ليكسب شيئا من قتله رئيس المعبد أو الاسبتارية لأنه يعرف جيدا أنه اذا قتل أحدهم سوف يحل محله آخر لا يقل عنه كفائة ، ولهذا السبب فإنه كان راغبا عن فقد حشاشيه المدربين دون مقابل يكسبه ، أنظر،برنالد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الاسلام، تعريب محمد العزب موسى،ط2،مكتبة مدبولي، القاهرة ،2006 ص191.

[2]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج2،ص 42.

[3]) المصدر السابق، ص66.

[4]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ص(365-366).

[5]) أبو الفدا، المختصر في اخبار البشر، ج 4،ص 12.

[6]) اليونيني، المصدر السابق،ج2،ص 451.

[7]) ابن كثير، المصدر السابق، ص2070.

[8]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2،ص70.

[9]) محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص 401 و رانسيمان، المرجع السابق،ج3، ص391.

،ويذكر أبو عليان أن صاحب عكا كان قد تخوف على نفسه من الحشاشين فامتنع عن الصيد فما ان علم السلطان بذلك حتى أرسل اليه غزلان مذبوحة وضبعا حي ورسالة يقول فيها " لما اتصل بنا امتناعك عن التصرف خوفا على نفسك وهجرانك لصيد الذي هو غاية مرامك بعثنا إليك نصيبا من الاجحاف بك والميل عليك"[1]

ان استيلاء بيبرس على قلاع الاسماعلية انما كان من اجل محاولة السيطرة علي نفوذهم السياسي غير انه لم يعمد للقضاء عليهم بشكل نهائي وانما حاول استخدامهم لصالحه وهو مكان زمن الناصر قلاوون فقد قال عنهم ابن بطوطة "وهم سهام الملك الناصر"[2] فيتضح من هذا القول أن هذه الطائفة بقيت في مزاولة نشاطها المسبوق غير أنها كانت تابعة لسلطان وتحت امارته.

وفي ختام هذا البحث الموجز وجب أن نشير الى أحد الأنظمة الادارية التي كان لها دور على الصعيد الخارجي، خاصة فيما تعلق بتحصين الثغور ورصد تحركات المغول ففي ظل الحملات التي كان يقودها بيبرس ضد الصليبين كانت تحركات المغول الايلخانين تصله أولا بأول عن طريق هذا النظام وهو ما يفسر سرعة تحرك بيبرس في الرد على أي هجمة، فكان لهذا النظام دور في التفوق العسكري الذي شهدته دولة الممالك في زمن حكم بيبرس و الذي عمل على اعادة احيائه وتطويره بعد أن تم الغائه زمن السلاجقة .

لقد كان اعتماد بيبرس على القوة العسكرية ضرورة حتمية أوجبتها الظروف لدفاع عن بلاد المسلمين والحفاظ عليها، فشن مجموعة من الحملات الصليبية على طول الساحل الغربي فاستعاد عل اثرها جزء كبير من الاراضي التي كان الصليبيون قد استولوا عليها سابقا، وبإسقاطه لثاني امارة صليبية

[1]) أبو عليان ، المرجع السابق،ص62.

[2]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،ط1،المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1377هـ/1958م،ج1،ص45.

-كثيرا ما وردت في كتاب محي الدين ابن عبد الظاهر كلمة "ورد بالبريد الى السلطان" فهذا يبين مدى اهتمام بيبرس بتتبع اخبار دولته فكانت ردود افعاله في كثيرا من المواقف على اساس ما كان يصله من اخبار، وقد أشاد بعض المؤرخين بهذا النظام بل هناك حتى الذي قارنه بنظام البريد المغولي وذلك لتشابهه في بعظ النقاط .

يكون قد قلل من نفوذهم بشكل كبير، وفي ظل حملاته عليهم سعى للحد من نفوذ طائفة الحشاشين وضم بلاد النوبة لتأمين حدوده الجنوبية والطريق التجاري، أما عن علاقته مع مغول الدولة الايلخانية فقد كان موقفه واضح منذ البداية وإقراره لهم بالعداء.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع العلاقات الخارجية لدولة المملوكية زمن السلطان بيبرس البندقداري خلصنا بمجموعة من النتائج:

- كان من بين نتائج الفصل الأول التي توصلنا إليها أن قيام دولة المماليك كان نتيجة لضعف الدولة الأيوبية وضعف وريثها الوحيد توران شاه أدى الى سقوطها كنتيجة حتمية، وصعود قوى فتية استطاعت التفرد بالحكم ، غير أنها لم تعرف استقرارا فعليا إلا زمن السلطان الظاهر بيبرس الذي يعد أول من ثبت حكم المماليك في السلطة بإعادة إحياء الخلافة العباسية من جديد وبفضل ما استحدثه من نظم وقواعد ادارية ساهمت في دعم أسس الدولة الصاعدة.
- تعود أصول بيبرس الى الأتراك، ويعود بانتمائه الى بلاد القفجاق، بناء على الروايات التي تناقلتها المصادر والتي تبينا مما جاء فيها حول تاريخ ميلاده أنه قضى جزءا من حياته الأولى على تلك الأرض وهو ما يعلل القوى العسكرية التي حظيت بها هذه الشخصية، ولتستكمل هذه القوى مع التربية الاسلامية التي تلقها بجزيرة الروضة، فساهم كلا العاملين في صقل قوة هذا القائد والتي برزت في أول مشاركة عسكرية له –وذلك في دحر القوات الصليبية في معركة المنصورة–.
- بعد سلسلة من التنقلات التي مر بها بيبرس في ظل الدولة المملوكية تسنى له المشاركة في معركة عين جالوت كقائد عسكري للقوات الفرعية، وعلى اثر هذه المعركة واغتيال المظفر قطز تمكن من الجلوس على عرش السلطة وكسب التفويض الشرعي بإعادة احياء الخلافة العباسية من جديد والتي ساهمت في اعطاء الشرعية في الحكم لمن بعده من المماليك.
- بدأت مع هذه المرحلة جملة من العلاقات الخارجية والتي تباينت على أساس ثلاث محاور– سياسية واقتصادية وعسكرية–فقامت العلاقات السياسية على أساس حماية سياج الدولة الاسلامية كونها قامت مع جيرانه (تونس–اليمن–الحبشة– صقلية)، أما التي قامت مع مغول القبيلة الذهبية فقد ضمنت الدولة الاسلامية من خلالها وجود حليف قوي ضد مغول الدولة

الايلخانية ، فجمعت كلا الدولتين مجموعة من المعاهدات الدبلوماسية حاولوا من خلالها تكوين حلف مشترك غير انها لم ترقى لشيء، وضمنت الدولة الاسلامية من جراء هذا التواصل استمرار تدفق المماليك من بلاد القفجاق (لتقوية شوكة المماليك في مصر) ولم نجد فيما اطلعنا عليه أي حضور لعلاقة اجتماعية سياسية جمعت بين القائدين .

- ان الموقع الذي حظيت به مصر وبلاد الشام جعلها تتبوأ مكانة اقتصادية رائعة كونها ربطت الشرق بالغرب فمنذ بدأ الاحتكاك العسكري بين الايوبين والصليبين تشكلت ربطة اقتصادية بينهما أشاد بها مؤرخو ذلك العصر وتعجبو منها، وتعتبر العلاقة التجارية القائمة زمن بيبرس امتداد لما كان في عهد الأيوبين وحقيقة أن ما اطلعنا عليه في المصادر العربية حول هذه العلاقة كان بشكل مقتضب فلم نجدها تميط اللثام عن تلك العلاقات وهذا بالنسبة لما اطلعنا عليه في المراجع الأجنبية والمترجمة والتي أبانت عن تلك العلاقات غير أننا لم نصل إليها جميعا.
- وقد قامت هذه العلاقات الاقتصادية مع كل من المدن الايطالية–جنوة بيزا البندقية–وانجلترا وصقلية واشبلية وارغو بالاضافة الى بعض الامارات المسحية في اسبانيا، حيث تميزت هذه العلاقات بأنها حملت الفائدة لكلا الجانبين فاستفادت تلك الدويلات من منتجات المشرق واستفادة دولة المماليك من الأخشاب والمواد التي كانت تستخدم في الحرب
- تميزت العلاقات العسكرية في زمانه بمكانة هامة كونه أولى من قيمة الجهاد فمن تتبع هذه الحملات نرى بأنه لم يعتمد على الأسلوب العسكري فقط، بل أرفقه بالسياسي، ففي ظل حملاته ضد الصليبين كان يلجأ الى المعاهدات وذلك كلما دعته الضرورة لذلك ، وهذه المعاهدات هي التي ضمنت بقاء بعض الامارات الصليبية مثل عكا وطرابلس وغيرها، ومما ساعده في حملاته ضد الصليبين أوضاعهم أنذاك، فقد كان النزاع سائدا فيما بينهم في المشرق والغرب، فتَحيُن بيبرس لهذه الفرصة كان قرارا صائبا في صالح الدولة الاسلامية. ويكون بذلك بيبرس قد مهد لعملية التصفية التي سار على نهجها من خلفه من السلاطين وجعل أمر القضاء عليهم أمر لا مفر منه.

- جمعت بين المماليك ومغول الدولة الايلخانية معركتين فاصلتين فكانت المعركة الأولى في سنة 659هـ/1261م وهي معركة حمص الأولى والتي تمكن من صدها مجموعة من الزعماء الأيوبين، أما المعركة الثانية فتمثلت في معركة أبلستين والتي قادها بيبرس بنفسه واستطاعت هي الأخرى من دحرهم، أما بقية الهجمات والغارات التي شنها المغول بين المعركتين ففي مجملها كانت عبارة عن غارات مبتورة تنقصها قوة الاندفاع المعهودة في حملات المغول السابقة.
- ضم بلاد النوبة فأضحت تأدي الجزية لبلاد المسلمين، وبضمها تم تأمين الطريق التجاري الذي يمثل الشريان الاقتصادي لدولة المملوكية، ضف الى ذلك تأمين الحدود الجنوبية .
- السيطرة على قلاع الحشاشين والتي كانت منتشرة في بلاد الشام ومحاولته استخدامهم لتخلص من معارضه السياسين فمهد لسيطرة عليهم كحركة سياسية مع بقائها كحركة دينية.
- اعتماد بيبرس على نظام البريد والذي عن طريقة تمكن من تتبع اخبار دولته أولا بأول ومراقبة تحركات المغول فكلما تقدمت كتيبة منهم أتاها الرد السريع ولم يقتصر استخدامه على الجهة الغربية فقط بل الجنوبية والشمالية والشرقية وربطها جميعا بمركز الحكم الرئيسي فكان لهذا النظام دوروه الفعال في مرونة هذه الدولة.
- تعتبر هذه الفترة على الصعيد الخارجي فترة حافلة بالإنجازات ومليئة بالحركة وممهدة للقوى الصاعدة والمتمثلة في دولة المماليك البحرية

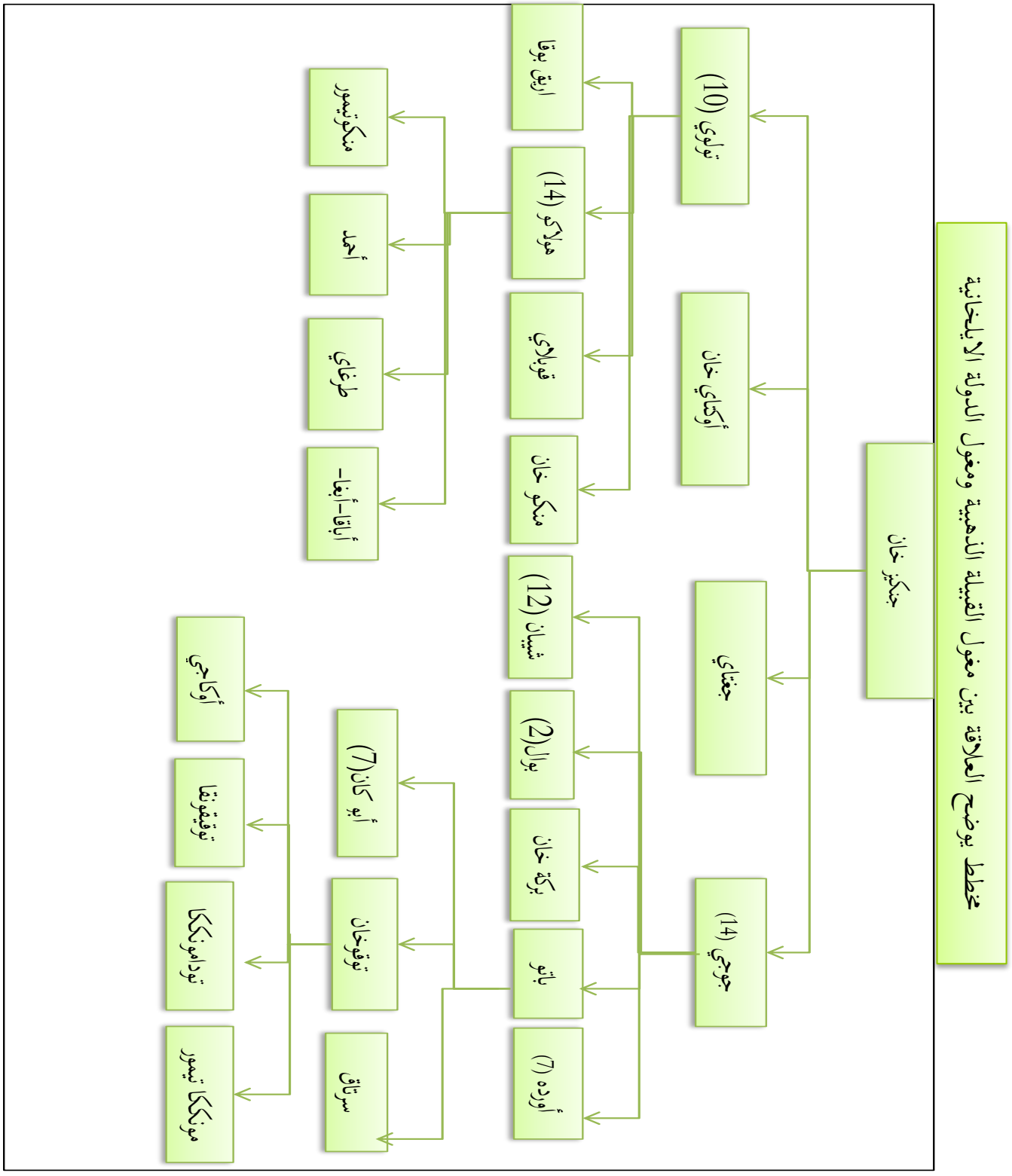
تم بعون الله وحمده

قائمة الملاحق

خريطة توضح حدود دولة المماليك وتبين بعض الكيانات السياسية المعاصرة لها.[1]



[1]) حسن مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام،ط1،الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، 1407هـ/1987م، ص225 .



1

[1])أنجز من خلال الهمذاني، جامع التواريخ،(تاريخ خلفاء جنكيز خان)و(الايلخانيون تاريخ هولاكو).

نص رسالة بركة خان الى بيبرس[1]

...وقد دخل في دين الاسلام اخواننا الكبار واخواننا الصغار وذراريهم وهو أولاد بوداكور بحشمهم وأولاد بلاد كوكاجسو وبيشوبوقا ومن بلادهم قودغوز وقراجا وبيش بغا وشرامون وبورباكو و منكقدار بجيوشه وسواده وبك قداق بنيال/ وتقوزاغول وقتلغ تيمور واجي وذريته ودرباي والتومان الذي توجه الى تجريد خرسان وكل من توجه صحبة كايجو...كل هولاء اسلموا بأسرهم وقاموا بالفرائض والسنن والزكاة والغزو والجهاد في سبيل الله ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[2] وقرأنا ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾[3]

فليعلم السلطان اني حاربت هولاكو الذي من لحمي ودمي لإعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام، لأنه باغ والباغية كافر بالله ورسوله وقد سيرت قصادي ورسولي صحبة رسل السلطان وهم اربوغا وارتيموا واوناماس، و وجهت ابن شهاب الدين غازي معهم لأنه كان حاضرا في الواقعة ليحكي ما رآه بعينه من عجائب القتال ثم لنوضح لسلطان أنه موفق الخيرات والسعادة لأنه أقام اماما من آل عباس في خلافة المسلمين وهو الحاكم بأمر الله...وتاريخ هذا الكتاب مستهل رجب سنة احدى وستمائة وهو كتاب مطول وهذا من جملته وقد حمل هذا الكتاب كل من الامير جلال الدين قاضي والشيخ نور الدين علي.

[1])بيبرس المنصوري، المصدر السابق، ص ص(82-83)

[2]) سورة الأعراف الأية43

[3]) سورة البقرة، الأية285.

يمثل الشكل: جدول يبين أهم الفتوحات للقلاع والامارات التي فتحها الملك الظاهر في الضفة الغربية[1]

السنة	القلاع والامارات المفتوحة(عنوة –صلحا)
663هـ/1265م	قيسارية–حيفا–أرسوف.
664هـ/1266م	صور–صيدا –عثليث–طبرية وبلادها هونين والرملة واللذ وأهم فتوحه شقيف–صفد
666هـ/1268م	أنطاكية –يافا–أرمينا الصغرى (المرة الأولى)
669هـ/1269م	حصن القرن–عكار–حصن الأكراد–قلعة صافيتا(صافيثا) طرابلس(صلحا)
670هـ/1272م	قلعة كيوك
673هـ/1275م	حصن القصير–فتح أرمينا الصغرى للمرة الثانية

[1])أنشئ من خلال محي الدين ابن عبد الظاهر، المصدر السابق، ص ص(230-235/254-261)؛ النويري، المصدر السابق،ج30،ص ص(173-206)؛أبو عليان، المرجع السابق، ص ص(33-84)؛ مجير الدين الحنبلي، المصدر السابق،ج2ص ص(86-87)

لقاء المماليك بالقوات المغولية السلجوقية (معركة أبلستين-البستان-).[1]



دولة المماليك

ما تبقى الامارات الصليبية

سلاجقة الروم

أرمنيا الصغرى

[1])أحمد الملغوث، المرجع السابق، ص57.





صور توضح قلعة مصياف التي ملكها الحشاشون في 535هـ/1141م ،كانت هذه القلعة احدى القلاع المهمة ومركز الدعوة زمن بيبرس تمكن من الاستلاء عليها وتعين نوابه عليها.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1) المصادر باللغة العربية:

-ابن اياس مُحَمَّد ابن احمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح مُحَمَّد مصطفى ،ط1، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، د ت ن.

-ابن أيبك الدواداري ابي بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تح سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، د د ن، القاهرة، 1391هـ/1972م.

-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة،ط1،المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1377هـ/1958م.

بكري الحسن ابي الحسين الديار، الخميس في أنفس النفيس، ط1، د د ن، د ب ن، 1302هـ/1884م.

-ابن ثغري بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(874هـ/1470م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح نبيل مُحَمَّد عبد العزيز،ط1 الهيئة المصرية العامة، مصر،1985/1405م.

-ابن ثغري بردى ،مورد اللطافة في من ولى السلطة والخلافة، تح نبيل مُحَمَّد عبد العزيز،ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1417هـ/1997م.

-ابن ثغري بردى النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1،دار الكتب العلمية، القاهرة، 1357هـ/1938م.

-ابن جبير ابو الحسين مُحَمَّد بن أحمد(ت614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير ،ط1،دار صادر ، بيروت ، د ت ن.

-جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، تر حسن حبشي،ط1، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

-الجويني علاء الدين عطاء بن بهاء الدين بن مُحَمَّد ، تاريخ فاتح العالم جهان كشاي، تر السباعي مُحَمَّد السباعي،ط1،المركز القومي لترجمة ، القاهرة ،1429هـ/2008م.

-الحسين بن عبد الملك(ت 1111هـ/1700م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُحَمَّد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1419هـ/1998م.

-الحلبي مُحَمَّد راغب الطباخ، اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، صححه مُحَمَّد كمال،ط2، دار القلم العربي، حلب، 1408ه /1988م.

-الحميري مُحَمَّد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1404ه/1984م.

-ابن خرداذبة أبي القاسم عبد الله بن عبد الله، المسالك والمماليك، ط1،مطبعة بريل ، لندن، 1298ه/1881م.

-ابن خلدون عبد الرحمن بن مُحَمَّد(ت808ه/1406م)،العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو الصيب الكرمي، ط1، بيت الأفكار الدولية، د ت ن،

-ابن دقماق(ت 809ه/1407م)، الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين، تح مُحَمَّد كمال الدين عز الدين علي،ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1405ه/1985م.

-الدودار بيبرس المنصوري الأمير ركن الدين، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تح دونالدوس.ريتشاردز،ط1، د د ن، بيروت، 1419ه/1998م ،ص160.

-الذهبي شمس الدين ابي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان(748ه/1350م)، تاريخ دول الاسلام، ط2، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1364ه/1945م.

-الذهبي،سير أعلام النبلاء، اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، د ت ن.

-الرمزي م م ، وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، تقديم ابراهيم شمس الدين ،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان، 1423ه/2002م.

-الزركشي عبد الله مُحَمَّد ابراهيم ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح مُحَمَّد ماضو، ط2، المكتبة العتيقة ،تونس،د ت ن.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح مُحَمَّد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1388ه/1968م.

-شافع ابن علي ابن عباس (730ه/1330م) حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ،تح عبد العزيز،ط2، د د ن، الرياض، 1410ه/1989م.

-أبو شامة المقدسي شهاب الدين ابي مُحَمَّد عبد الرحمان(665هـ/1267م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع(الذيل على الروضتين)، تح مُحَمَّد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2، دار الجيل، بيروت، 1394هـ/1974م.

-ابن شاهين الظاهري غرس الدين، تح بولس راويس، ط1، مطبعة الجمهورية، باريس، 1311هـ/1894م.

-ابن شداد عز الدين مُحَمَّد بن علي بن ابراهيم (684هـ/1286م)، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء أحمد حطيط ،ط1،فرانز شتايز،1403هـ/1983م.

-ابن الشماع أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن مُحَمَّد المعموري،ط1، الدار العربية للكتاب،

-الشهرستاني ابي الفتح مُحَمَّد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد(1154/548م)الملل والنحل، تح عبد الأمين علي مهنا وعلي حسن، ط 3،دار المعرفة، لبنان، 1414هـ/1993م.

-شيخ الربوة شمس الدين ابي مُحَمَّد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي(ت727هـ/1329م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط1، مطبعة قرين أحمد، بطربورغ، 1281هـ/1865م.

-الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله(ت 764هـ/1362م)،الوافي بالوفيات، اعتنى به جاكلين سوبلة وعلي عمارة، ط2، فرانز شتايز شتوتغارت، د ب ن، 1411هـ/1991م.

-ابن العبري غريغوريوس ابي الفرج هارون الطبيب الملطي(684هـ/1286م)، تاريخ مختصر الدول، تح الأب انطون صالحاني اليسوعي، ط2، دائرة الرائد اللبناني، بيروت، 1415هـ/1994م.

-ابن العسال مفضل ابن ابي الفضائل، النهج السديد والدرر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تح مُحَمَّد كمال الدين عز الدين علي السيد، ط1، دار سعد الدين، دمشق، 1438هـ/2017م.

-العليمي مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن مُحَمَّد (ت1521/928م) ،الأنس الخليل بتاريخ القدس الخليل ،ط1، المطبعة الحيدرية ، د ب ن،1388 هـ/1968م.

-ابن العماد أبي الفلاح عبد الحي الحلبي(ت1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ط1، مكتبة القدس، مصر،1351هـ/1933م.

-العيني بدر الدين محمود(855هـ-1451م)،عقد الجمان في أهل الزمان، مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1431هـ/2001م.

-ابو الفدا عماد الدين اسماعيل بن مُحَمَّد بن عمر(ت732هـ/1334م)،تقويم البلدان، تح رينود ومارك كوين ديسلان، ط1، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1266هـ/1850م.

- ابو الفداء عماد الدين، المختصر في أخبار البشر، تح مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب ويحي سيد حسين، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت ن.

-ابن فرات ناصرالدين مُحَمَّد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تح قسطنطين زريق، كلية العلوم والآداب، بيروت، 1361هـ/1942م.

-القاضي محي الدين ابن عبد الظاهر (692هـ/1292م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح عبد العزيز الخويطر، ط1،د د ن، الرياض، 1396هـ/1976م.

-القزويني زكريا بن مُحَمَّد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، ط1، دار صادر، بيروت، د ت ن.

-القلقشندي أبي العباس أحمد(ت850هـ/1446م)، صبح الأعشى، ط1،المطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ/1914م.

-القلقشندي، مأثر الإناقة في معالم الخلافة، تح عبد الستار أحمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، د س ن.

-ابن قنفذ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت810هـ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح مُحَمَّد الشاذلي البنفر، عبد المجيد التركي،ط1،الدار التونسية لنشر والتوزيع، تونس،1406هـ/1986م.

-الكتبي مُحَمَّد شاكر (764هـ/1363م)، فوات الوفيات والذيل عليها ، تح احسان عباس، ط1،دار صادر، بيروت، د س ن.

-الكتبي مُحَمَّد شاكر، عيون التاريخ ، تح نبيلة عبد المنعم داود و فيصل السامر،ط1، دائرة الشؤون الثقافية ، العراق، 1404هـ/1984م.

-ابن كثير عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الشافعي (747هـ/1373م)، البداية والنهاية ، اعتنى به حنان عبد المنان ؛ط1؛بيت الأفكار الدولية ،د ب ن ، د س ن.

-المرادي أبي الفضل مُحَمَّد خليل بن علي(1206هـ/1792م)، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ط1، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ج3، ص182.

-المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بت علي بن عبد القادر العبيدي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح محمود الجليلين، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1423هـ/2002م.

-المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العُبدي(845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح مُحَمَّد عبد القادر عطى،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1418هـ/1997م.

-المقريزي تقي الدين أبي العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، تح مُحَمَّد زَينُهمْ ومَديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة،1419هـ/1998م.

-النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/ 1333م)، تح نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز ،ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2004م.

-الهمذاني رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ (الايخانيون تاريخ هولاكو)، تر مُحَمَّد صادق نشأة وفؤاد عبد المعطي الصياد وأخر، ط1، دار احياء الكتب العربية، مصر، د ت ن.

-الهمذاني رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قان الى تيمور قآن)، تح فؤاد عبد المعطي الصياد و يحي الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت، د س ن.

-ابن الوردي زين الدين عمر ابن المظفر(749هـ/1251م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417هـ/1996م.

-ابن الوكيل يوسف الملوني(ت1131هـ/1719م)، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تح مُحَمَّد الششتاوي،ط1،دار الأفاق العربية، القاهرة، 1419هـ/1999م.

-اليافعي أبي مُحَمَّد عبد الله بن سليمان(ت 768هـ/1376م)،مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تح خليل منصور، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

-ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله البغدادي(626هـ/1228م)، تح مُحَمَّد الأمين الخانجي، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ/1906م.

-اليونيني شيخ الدين موسى بن مُحَمَّد (ت726هـ/1328م)،ذيل مرأة الزمان ،ط1،مطبعة مجلس المعارف العثمانية ،حيدر آباد –الهند،1375هـ/1955م.

2) المراجع

1.2-المراجع باللغة العربية:

-بارتولد فاسيبي فلاديمير وقتش، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، تر صلاح الدين عثمان هاشم ، ط1، قسم التراث العربي، الكويت ،1401هـ/1981م.

-باتولد، تاريخ الترك في أسيا الوسطى، تر أحمد السعيد سليمان، ط1، الهيئة المصرية العامة، مصر،1416هـ/1996م.

-جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على بلاد الشام ومصر هزيمة لويس التاسع في الأرض المقدسة، ط3، دار الكتب الجامعية، د ب ن، 1391هـ/1917م.

-رانسيمان ستيفن، الحملات الصليبية(مملكة عكة)، تر نور الدين خليل، د د ن، د ب ن، د ت ن.

-رجب مُحَمَّد عبد الحليم، انشار الاسلام بين المغول،ط1،دار النهضة العربية، القاهرة ، د ت ن.

-رضا خالد عمر، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ط1، مؤسسة الرسالة، سوريا ، د ت ن.

-زيتون عادل العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط1، دار دمشق، سوريا، 1400هـ/1980م.

-سرور جمال الدين مُحَمَّد، الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1357هـ/1938م.

-شرف طه أحمد، الدولة النزارية أجداد أغاخان(كما أسسها الحسن الصباح زعيم الاسماعلية في فارس)، ط1،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1369هـ/1950م.

-الصياد فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1400هـ/1980م.

-الطائي سعاد هادي حسن ارحم، دراسات في تاريخ الترك والمغول ، ط1، دار مكتبة عدنان لطباعة والنشر، بغداد، 1436هـ/2015م.

-طقوش مُحَمَّد سهيل، تاريخ المغول العظام والايلخانين، ط1،دار النفائس، بيروت،1428هـ/2007م.

-طقوش مُحَمَّد سهيل، تاريخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)، ط1، دار النفائس، القاهرة ،1418هـ/1997م.

-عاشور سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1406هـ/1986م.

-العبادي احمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1988م.

-عثمان عبد القوي حبيب شوقي، التجارة بين مصر وافرقيا عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517م)، ط1، المجلس الأعلى لثقافة ،مصر ، 1420هـ/200م.

-العريني السيد الباز، المماليك (الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك 648-923هـ/1250-1517م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م.

-عزمي عبد أبو عليان، مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبين في عهد المماليك (648-923هـ/1250-1517م) ،ط1، دار النفائس ، الأردن،1415هـ/1995م.

-عطية حسين مُحَمَّد، امارة أنطاكية الصليبية والمسلمون(567-666هـ/1171-1268م)، ط1،المعرفة العلمية، د ب ن ،1409هـ/ 1989م.

-عطية عزيز سوريال، العلاقات بين الشرق والغرب (تجارة ثقافة صليبية)، تر فليب صابر يوسف، ط1، دار الثقافة ،1392هـ/1972م.

-عمران سعيد محمود، الحملة الصليبية الخامسة ،ط1،دار المعارف، القاهرة،1405هـ/1985م،

-غنم أسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، ط1، دار المعارف الجامعية، د ب ن، 1410 هـ/1990م.

-فايد حماد مُحَمَّد عاشور، الجهاد الاسلامي ضد الصليبين في العصر الأيوبي، ط1 ،دار الاعتصام، القاهرة، د ت ن.

-ف.هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر أحمد مُحَمَّد رضا،ط1، الهيئة المصرية العامة،1985م

-فؤاد أيمن، دولة سلاطين المماليك في مصر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1440هـ/2019م.

-قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1415هـ/ 1994م.

-لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تر بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط1، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/1954م.

-المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ العصر المملوكي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1434هـ/2013م.

-ممدوح حسين، الحروب الصليبية في شمال افرقيا وأثرها الحضاري، ط1، دار عمار،عمان،1419هـ/1998م.

-عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر،ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1408هـ/1988م.

-نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها (أواخر العصور الوسطى)، ط1،المكتبة العربية، القاهرة ،(1393هـ/1973م).

-هاني حمزة، مصر المملوكية قراءه جديدة(658-923هـ/1250-1517م)، ط1، دار العين، الاسكندرية، 1433هـ/2012م.

-هلال عادل، العلاقات بين المغول و أوربا و أثرها على العالم الاسلامي، ط1، عين لدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، د ت ن.

2.2-المراجع باللغة الأجنبية:

-W.Heyd , Histoire du commerce de levant Au Moyen-AGE,PARIS,1885AD.

-Stanley Lane-pool, History of Egypt in the Middle ages , London, Methuen,1901AD.

-Henry Detweiler, Venice In The Thirteenth And Fourteente Centuries, London, George Allen Sons, 1910AD.

-Colonel E .j . king, the kntghts hospital era In The Holy Land , London, Methuen Co Ltd,1931AD.

3)المقالات والدوريات

3.1–المقالات باللغة العربية:

–سلطان طارق فتحي والمولى سالم يونس مُحَمَّد، موقف المماليك من الغزو المغولي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد2، العدد1، 1425هـ 2004م.

–عبد الفتاح سند أحمد، أوضاع النصارى في مصر زمن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري وعلاقته بالراهيب بولص الحبيس، جامعة عين شمس، مصر، د ت ن.

–عيساوي مُحَمَّد، الدور العسكري للمغاربة في الحروب الصليبية بالمشرق الاسلامي بداية من الفاطميين الى نهاية الممالك، دراسات تاريخية، ع6، د ت ن.

–فراج وسيلة، المواقف السياسية لسلطان العلماء العز بن عبد السلام(577–660هـ/1181–1262م)، مجلة قضايا تاريخية، ع 12، 1441هـ/ 2020م.

–قاوي مُحَمَّد، السنة و الشيعة بين التفاهم والتصادم في العصر البويهي خلال يوم عاشوراء–دراسة تاريخية أنثروبولوجية–، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج17، ع1، 1442هـ/2021م.

–نمر بومدين هشام، الرياضة والألعاب التدريبة العسكرية في الدولة المملوكية (رياضات وألعاب الفروسية نموذجا)،مجلة عصور الجديدة، مج12، ع2، جوان1443هـ/2022م .

2.3–المقالات باللغة الأجنبية:

- Broadbridge.(Anne.F), Mamluk Legitimacy and the Mongols The Reigns of Baybars Qalawun, The Universtty of Chicago,2001AD

- Humphreys R Stephen ,Ayyubids Mamluks and the latin East in the thirteenth Century, Universtty of California,1998AD.

4)المعاجم والموسوعات:

– ابراهيم أنيس، عبد الحليم منصر وأخران، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، 1425هـ/2004م.

–ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير ومُحَمَّد أحمد حسب الله وأخر، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت ن.

-مُحَمَّد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، ط1، دار كنوز، عمان، 1432هـ/2011م.

-مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة،ط1،المكتبة العصرية،صيدا-بيروت،1431هـ/2010م.

5) الرسائل الجامعية:

1.5-الدكتوراه:

-رمضاني فوزي، اسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)، أطروحة دكتورا في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية بجامعة الجزائر2، الجزائر،(1437-1438هـ/2016-2017م).

2.5-الماجستير:

-الطشاني مُحَمَّد عبد الرحيم، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين في بلاد الشام(490-690هـ/1069-1292) أطروحة ماجستير تاريخ إسلامي ، كلية الآداب ، جامعة بن غازي، ليبيا، 1432-1433هـ/ 2011-20012م.

الفهرس

الإهداء

الشكر

قائمة الرموز والمختصرات

المقدمة.....أ

الفصل الأول: البدايات الأولى من سيرة بيبرس البندقداري

المبحث الأول: السيرة الذاتية لبيبرس البندقداري:.....11

1) أصله ومولده: 11

2)صفاته: 14

3)سيرته: 14

4) أبنائه وزوجاته: 14

5) وفاته: 15

المبحث الثاني: دوره في ظل الدولة الأيوبية والمملوكية : 16

1)دوره في ظل الدولة الأيوبية: 16

2) بيبرس ودوره في ظل الدولة المملوكية: 21

المبحث الثالث: وصول بيبرس الى السلطة واكتساب التفويض الشرعي: 27

1) مقتل قطز وتفرد بيبرس بالحكم: 27

2)احياء الخلافة العباسية: 30

الفصل الثاني: العلاقات السياسية والاقتصادية لدولة المملوكية (658-676 هـ/1260-1278م)

المبحث الأول: السفارات الدبلوماسية مع مغول القبيلة الذهبية: 34

1)ظروف قيام العلاقة بين الدولتين: 34

2) السفارات السياسية بين المماليك ومغول القفجاق: 36

3) المصاهرة السياسية : 41

المبحث الثاني: العلاقات الاقتصادية: 43

1) الطرق التجارية: 43

2) علاقة بيبرس مع المدن الايطالية (البندقية –جنوة)..... **45**

3) علاقة بيبرس مع الإمارات المسيحية في اسبانيا:..... **48**

المبحث الثالث: العلاقات السياسية مع الدول المجاورة لدولة المماليك.....50

1) علاقة دولة المماليك مع تونس: 50

2) علاقة دولة المماليك مع اليمن: 53

3) علاقة دولة المماليك بالحبشة: 55

الفصل الثالث: الحملات العسكرية زمن السلطان الظاهر بيبرس

المبحث الأول: الجهاد ضد الصليبين: 58

1) مرحلة المهادنة والهجمات العسكرية الأولى: 59

2) مرحلة الفتح الشامل: 60

3) أسباب وعوامل نجاح حملات بيبرس: 63

المبحث الثاني: الجهاد ضد مغول الدولة الايلخانية: 67

1) التحالف بين الصليبين والأرمن مع مغول الدولة الايلخانية : 67

2) معركة أبلستين–البستان–..... 72

المبحث الثالث: ضم بلاد النوبة: 75

المبحث الرابع: علاقته مع الحشاشين: 77

الخاتمة **82**

قائمة الملاحق..... **86**

قائمة المصادر والمراجع..... 93

الفهرس 104

ملخص: 109

ملخص:

يهدف هذا البحث الى محاولة تسليط الضوء على موضوع هو من ضمن الدراسات السياسية والاقتصادية وذلك في ظل فترة زمنية محددة تاريخيا، وهي فترة حكم الملك الظاهر بيبرس، والتي عاصرت مجموعة من القوى ذات الكيانات السياسية من بينها(المغول، الأرمن ، الدولة البيزنطية، سلاجقة الروم، والصليبين.... الخ)، فعرفت العلاقات بين هذه القوى التشابك والتباين، ففي ظل هذا بنى بيبرس علاقاته الخارجي على أساس مصلحة الدولة الاسلامية، والظروف التي أحاطت بها، فجمع بين الأسلوبين السياسي والعسكري لما لهما من دور على الصعيد الخارجي، فأبانت هذه الاستراتيجية عن سجل دبلوماسي حافل جمعه مع مغول القبيلة الذهبية والدولة البيزنطية ومع جيرانه وبعض الامارات الصليبية، وعن استرجاع جل الأراضي الاسلامية من أيدي الصليبين، ضف الى ذلك ان الاستراتيجية العسكرية كفلت ضم بلاد النوبة ودحر مغول الدولة الايلخانية.

Abstract:

This research focuses on the reign of King Baybars and the interplay between various political entities during his time. Baybars pursued a diplomatic and military approach in foreign relations, aligning them with the interests of the Islamic state. His strategy resulted in extensive diplomatic engagements, including interactions with the (Golden Horde Mongols, the Byzantine Empire, neighboring states, and Crusader emirates). Additionally, Baybars aimed to regain Islamic territories from the Crusaders, utilizing military tactics to incorporate Nubian lands and repel the Ilkhanate Mongols.